بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر
كلية التربية
قسم أصول التربية الإسلامية

جوانب من الفكر التربوي عند الإمام النووي (٦٣١ هـ - ٦٧٦هـ)

عبد رب الرسول سليمان محمد
مدرس بقسم أصول التربية الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث وأهميته :

يواجه مجتمعنا الإسلامي في الوقت الراهن الكثير من المشكلات التربوية التي تحتاج في دراستها وتصورات حلولها الرجوع إلي الفكر التربوي الإسلامي ولعل من أسباب ضعف المسلمين في تفعيل الإسلام في الجوانب المختلفة ومنها الجانب التربوي إهمال ما تراكم عبر التاريخ من معطيات الفكر الإسلامي بينما استعمل الغرب بعضه فخرج من قرونه الوسطي المظلمة إلي ثورة صناعية متقدمة وانطلاقا من ضرورة المشاركة تكون محاولة الباحث في تنشيط شيء من هذه المعطيات التربوية وذلك بدراسة وتحليل الفكر التربوي لمفكري التربية الإسلامية.

وإذا كان الفكر التربوي من أهم مكونات تراث أي مجتمع فيجدر بنا أن نهتم بدراسة فكرنا التربوي الإسلامي بعيداً عن الفكر الوافد الغريب علي أمتنا "لأن الفكر الوافد لا يمثل المنطقة الغربية الإسلامية تاريخياً أو واقعاً أو أملاً فلا نجاح لهذه الأمة إلا ببحثها عن فكر أصيل يمثل جذورها ويعبر عن شخصيتها ويوجه إمكاناتها ويتحدى طاقاتها ويرسم مستقبلها ويحدد مسارها" [١].

وقد خلَّف لنا المسلمون الأوائل تراثاً فكرياً وتربوياً غنياً ينبغي أن نفاخر به ونعتز لأنه يعكس لنا صورة الماضي، ويضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل بقدر رجوعنا إليه واستشهادنا به ، وأخذنا منه ما يتفق مع ظروفنا التربوية الراهنة [٢].

وبقدر معرفتنا لهذا التراث وتحليله واستيعابه بقدر ما تتحدد لنا فلسفتنا التربوية العربية الإسلامية المعبرة عن أصالتنا والمستمدة من جذور حضارتنا وتراثنا والتي تعد انعكاساً لملامح الشعب وتقاليده وقيمه [٣].

وإذا كنا نحن العرب نعيش الآن في حاضر مجيد ونتطلع إلى مستقبل أفضل فعلينا أن نربط ماضينا بحاضرنا وحاضرنا بمستقبلنا لأن التربية القائمة الآن في أقطار المسلمين ليست عربية ولا إسلامية خالصة بل وليست نابعة من القرآن والسنة وليست كذلك مستمدة من واقع

---

[١] سعيد إسماعيل: دراسات في فلسفة التربية، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١، ص ٧٠.

[٢] عبد الغنى عبود: في التربية الإسلامية ، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٧، ص ١٤٨.

[٣] عائشة عبد الرحمن: تراثنا بين ماض وحاضر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠، ص ٣٨.

التراث التربوي الإسلامي ومن ثم فإن الأمر يحتاج إلي مزيد من الجهود التى تبذل في ميدان التربية الإسلامية حتى يصبح لنا تاريخ تربوي في معاهدنا العلمية بجوار التاريخ التربوي للغرب الذى ندرسه مفصلاً وموضحاً أشد ما يكون التفصيل والتوضيح .

ومما يدل على غربة نظامنا التعليمي في عالمنا الغربي والإسلامي عن واقع مجتمعاتنا أن خطط التربية ونظمها في العالم الإسلامي اليوم هي ــ في الغالب ــ اقتباس وتقليد للقالب الغربي بزعم أن النهوض السريع بالبلاد الإسلامية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واللحاق بالغرب بأسرع وقت ممكن، لا يتأتى إلا عن طريق اقتباسنا التربية الغربية اقتباساً مستعجلاً بدون أن تنسجم انسجاماً كاملاً، أو تتلاءم مع احتياجات الشعب وتقاليده الروحية، أو لأن من المشاكل والأخطاء كامنة فعلاً في التربية الغربية ذاتها [١].

ومن عجب أن نرى كتب التربية العربية تهتم بالمفكرين الغربيين أكثر مما تهتم بالمفكرين المسلمين وقد يعود السبب في نظرنا إلى الكسل الفكرى الذى يهول المشقة التي تواجه الباحث حين يود أن يغوص في أعماق كتب التاريخ والتراث، أو حين يود أن يدرس ــ بعناية ــ الآثار الخالدة للفكر التربوي الإسلامي ، وقد يعود السبب للفكر التربوي الإسلامي، وقد يعود السبب إلى تأثرنا الثقافي بالتيارات الاستشراقية التي تعادى الإسلام، أو إلى تأثرنا بما تعلمناه على في الجامعات الأوربية والأمريكية وانبهار الكثيرين بالتفوق العلمي الغربي، وعلي أية حال ، فلا مندوحة لنا من العودة إلي الفكر التربوي الإسلامي لمواجهة المستقبل للعمل علي ربط الماضي بالحاضر [٢].

ومن هنا كان من حق أبناء أمتنا أن يعرفوا تاريخهم الأدبي والعلمي والتربوي لأن هذه المعرفة ضرورة لإثبات الذات من ناحية والاستفادة العلمية بها في صنع المستقبل من ناحية أخرى خاصة ونحن نعيش الآن في حاضر يموج بالتيارات الفكرية المعادية للتراث التربوي الإسلامي .

---

[١] محمد فاضل الجمالي : نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي ، تونس ، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢، ص ص ٢٤٢ – ٢٤٧.

[٢] فتحى على إبراهيم يونس : التربية الإسلامية والفكر التربوي الحديث : من أبحاث المؤتمر العالمي الخامس للتربية الأسرية ، جـ٢ ، ٨ – ١ ٣ رجب ١٤٠٧هـ ، ٨ – ١٣ مارس ١٩٨٧م، ص ٧٢٢.

وتعد قضية التأصيل التربوي من أهم القضايا التي تشكل فكرنا التربوي فلم يعد مقبولاً أن يظل فكرنا التربوي مجرد إصدار لأفكار الغير ننقلها ترجمة أو اقتباساً دون أن توائم ثقافتنا الخاصة وحاجاتنا النفسية التربوية المتعددة .

ولقد صار من المسلم به أن التعليم لا يمكن أن يؤدي دوره المنشود دون أن يستند إلى فكر تربوي واضح ومحدد يجمع بين الأصالة وما هو إيجابي في ماضى الأمة وتراثها ويستوعب في نفس الوقت متطلبات العصر وظروفه وإنجازاته ، طامحاً نحو المثل العليا التى يهدف الشعب إلى تحقيقها في مستقبله [1].

وقد شهد الحقل التربوي الإسلامي عبر العصور المختلفة بروز بعض الشخصيات التي أسهمت في بلورة الفكر التربوي الإسلامي سواء أكان بالفكر أم بالممارسة أم بهما معاً وقد أكدت هذه الدراسات أن للفكر الإسلامي الأصيل قيمة كبرى في التربية والتعليم تستحق بذل الجهد في دراسته وتقديمه للأجيال القادمة .

ومن الملاحظ أن دارسي تاريخ التربية الإسلامية يكادون يهملون مفكرين بارزين لهم دورهم الذى لا ينكر في الفكر التربوي وقد يرجع هذا الإهمال إلى عدم توفر النصوص التربوية الأصلية لكتابات هؤلاء المفكرين إذ قد يكون بعضها لا يزال مخطوطاً أو مفقوداً مما يجعل أمر دراسة الجوانب التربوية في فكرهم أمراً متعسراً .

ومن بين هؤلاء المفكرين يبرز لنا الإمام النووي الذى يعتبر شخصية من أهم الشخصيات في تراثنا التربوي الإسلامي الذين احتلت التربية مكاناً بارزاً في تفكيرهم

واستولت على قدر كبير من اهتمامهم وله نظرات ثاقبة في مجال التربية ويمثل الجانب التربوي عنده قسماً هاماً من أقسام إسهاماته الثقافية المتعددة والمتنوعة .

وتعد هذه الدراسة وأمثالها إسهاماً في الكشف المفيد لأمتنا عن إطار النظرية التربوية الإسلامية وأبعادها والوقوف علي التراث التربوي الإسلامي بطريقة علمية تكشف أصالته وتوضح سبل الإفادة منه في عصرنا الحاضر كما أن دراستنا لجوانب التربية عند النووي تأتي في إطار قضية التأصيل التربوي.

---

[1] عبد البديع عبد العزيز الخولى: الفكر التربوي والمؤسسات التربوية بمصرفي دولة المماليك البرجية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الأزهر، ١٩٨١، ص ١٠.

وقد دعانا إلي البحث عن جوانب التربية في فكر الإمام النووي أمور منها :

١- يعد الإمام النووي من أبرز الفقهاء والمحدثين في القرن السابع الهجري وقد مارس مهنة التدريس في عصره وعاني رياضة المتعلمين وساعده عمله بالتدريس على تناول العملية التعليمية بالتنظير والتقعيد التربوي من وجهة نظره التي تحكم فيها تخصصه في العلوم النقلية (الفقه والحديث) مما يجعل لفكره التربوي الإسلامي أهمية خاصة في الواقع العملي للتربية الإسلامية .

٢- لم تنل هذه الشخصية العلمية في فكرنا التربوي الإسلامي اهتمام الباحثين مثلما نال غيره من مفكري التربية المسلمين مما دفع الباحث إلي محاولة استجلاء فكرة التربوي كعالم له مكانة في تاريخ التربية الإسلامية .

٣- إن المحافظة علي التراث التربوي الإسلامي وتوضيحه للأجيال القادمة أمر في غاية الأهمية فى عصر طغت فيه النظم التربوية المختلفة علي الشخصية الإسلامية حتى كادت أن تضيع شخصيتنا الأصيلة في خضم التيارات التربوية المختلفة وما أحوجنا اليوم إلي العودة إلي هذا التراث الإسلامي الضخم في مجال التربية .

٤- تأتي هذه الدراسة متمشية مع حركة إحياء وتأصيل الفكر التربوي الإسلامي وتأكيد الهوية له .

٥- تمثل اجتهادات المفكرين المسلمين في الحقل التربوي علي اختلاف مشاربهم مصدراً هاماً من مصادر التربية الإسلامية وبالتالي أهمية الاستفادة من اجتهاداتهم وآرائهم التربوية في مواجهة مشكلاتنا التعليمية .

منهج البحث :

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك يهدف تحليل كتابات وأفكار الإمام النووي وصولاً إلى جوانب التربية المتضمنة في هذه الكتابات والمنبثقة عن تلك الأفكار التى نادى بها إسناداً إلى الأصول الإسلامية للتربية وفي ضوء المتغيرات التى كانت سائدة في عصره (القرن السابع الهجري).

هذا ولا يزعم الباحث أن الإمام النووي توجد لديه نظرية تربوية متكاملة وإنما الهدف من الدراسة هو الوقوف على جوانب التربية عند النووي .

خطوات الدراسة :

يتناول الباحث بالدراسة الجوانب التالية :

١- مولد الإمام النووي ونشأته .

٢- عصره وعلاقته بالسلطة ورأيه في الحاكم .

٣- الأهداف التربوية .

٤- العلم والمعرفة ، بعض المبادئ والشروط الخاصة بالتعليم .

٥- آداب العالم والتعليم .

٦- التأليف العلمي وضوابطه .

٧- آداب وأخلاقيات حملة القرآن الكريم.

أولاً: مولده ونشأته :

هو محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه [١].

ولد في "المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى*، وكانَ من أبوه من أهلها المستوطنين بها" [٢].

عاش النووي في كنف أبيه ورعايته وكان أبوه في دنياه مستور الحال وكان دكانيا بنوي (أي له دكان يبيع فيها ويشتري) فنشأ النووي في ستروخير وبقي يتعيش في الدكان لأبيه مدة كما يذكر الحافظ السخاوي [٣].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية،جـ١٣، لبنان، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٦٦، ص ٢٧٨.

* قرية "نوى" ينتسب إليها الإمام النووي وهي قرية فى حوران من أعمال دمشق وهي مسقط رأسه أنظر : ياقوت الحموي: معجم البلدان ، جـ٥، دار صادر، بيروت ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م ، ص ٣٠٦.

(٢) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعين الكبرى ، جـ٨، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحى، دار هجر للنشر، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٣٩٦.

(٣) السخاوى: ترجمة النووي ، تحقيق محمود حسن ربيع ، القاهرة ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، ط١، ١٩٣٥م ، ص ٣٣.

حَبَبَ الله العلم النووي وهيأه لقبوله فحفظ القرآن صغيراً وانشغل به عن اللعب مع أقرانه ولما بلغ عشر سنين جعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن العلم وحفظ القرآن الكريم واتفق أنه في سنة نيف وأربعين وستمائة مر بقرية نوي (مسقط رأس النووي) الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي المشهور بولايته فرأى النووي وهو أبن عشر سنين، والصبيان يكرهونه علي اللعب معهم ، وهو يهرب منهم ، ويبكي لإكراههم. ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته ، فأتيت الذى يُقرئه القرآن فوصيته به، وقلت له : هذا الصبي يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به ، فقال لي : أمنجم أنت ؟ فقلت : لا ، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده ، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن ، وقد ناهز الاحتلام[١].

وهكذا كانت فراسة هذا الشيخ المراكشي في النووي الفتي وبدو النجابة عليه واشتعال الرغبة فيه لطلب العلم أنفع للمسلمين فاطمة من كل عمل صالح له إذ كان بسببه وسعيه ظهور عالم زاهد تقي بارك الله له في عمره القصير وصنع منه في عصره وما بعده فقيه من مشاهير الفقهاء .

ثم قدم النووي إلي دمشق سنة تسع وأربعين وستمائة هجرية بعد أن حفظ القرآن في قريبته (نوى) وسكن "المدرسة الرواحية" بدمشق ليأخذ العلم عن كبار علمائها وحفظ كتاب "التنبيه" في نحو أربعة أشهر ونصف ، وقرأ كتاب "المهذب" حفظاً في باقي السنة على يد شيخه الكمال إسحاق بن محمد أحمد ولازمه واشتغل عليه ومنحه الشيخ في هذه المدرسة بيتاً لطيفاً عجيب الحال فسكنه واستقر فيه حتى مات . يذكر النووي في هذا الصدد قوله "... فلما كان عمري تسع عشرة سنة ، قدم بى والدي إلى دمشق ، سنة تسع وأربعين وستمائة، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنين لم أضع جنبي إلى الأرض وكان قوتى (راتبي وأجوي) فيها جرابة المدرسة لا غير ، وحفظة التنبيه في أربعة أشهر ونصف ، وحفظت ربع المهذب في باقي السنة..." [٢].

حين استقر النووي في المدرسة الرواحية واطمأنت نفسه في مسجده أقبل علي طلب العلم بكل ما يعتلج بقلبه وعقله من شغف وجد واستعداد ومن نهم العلم لا يسده شبع ولقد كان

---

[١] السيوطي: المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي ، دمشق، دار الأنوار للنشر ، ط١، ١٩٩٢م ، ص٣٨.

[٢] السيوطي : المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي ، مرجع سابق، ص ص ٣٨ – ٣٩.

ذلك منه مضرب المثل ومثار العجب فقد روي أنه "كان لا يضيع له وقت في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم ، حتى إنه في ذهابه في الطريقة وإيابه ، يشتغل في تكرار محفوظه ، أو مطالعه ، وإنه بقى علي التحصيل ــ علي هذا الوجه ــ من ست سنين"[١].

ويذكر الذهبي عنه أنه "ضرب به المثل (أي النووي) في انكبابه علي طلب العلم ليلاً ونهاراً ، وهجره النوم إلا عن غلبة ، وضبط أوقاته بلزوم الدرس أو الكتابة أو المطالعة أو التردد على الشيوخ" [٢].

وكان الإمام النووي في بداية طلبة للعلم يقرأ دروساً كثيرة على مشايخ عصره في علوم شتى ويعلق عليها "كنت أقرأ كل يوم اثنى عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً : درسين في الوسط، ودروساً في المهذب، ودرساً في الجمع بين الصحيحين ، ودرساً في صحيح مسلم ، في اللمع لابن جني ، ودرساً في إصلاح المنطق لابن السكيت في اللغة ، ودرساً في التصريف ، ودرساً في أصول الفقه، ودروساً في أسماء الرجال ، ودرساً في أصول الدين . وكنت أعلق على جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل ، وإيضاح عبارة ، وضبط لغة ، وبارك الله لي في وقتي واشتغالي ، وأعانني عليه.." [٣].

اثنا عشر درساً يقرأها على المشايخ كل يوم شرحاً وتصحيحاً ويعلق عليها تحتاج كل يوم إلى اثنتي عشرة ساعة على أقل تقدير وتحتاج مراجعتها إلى وقت طويل وهنا يبدو إكرام الله إياه وتفضله عليه بأن منحه القدرة على أن ينتج في يوم ما ينتج غيره في يومين . وبهذا نفسر هذه الوثبة الهائلة التى جعلت منه فى نحو عشر سنوات من كبار علماء عصره كما نفسر هذه الكثرة من مؤلفاته المتقنة الرائعة في فترة لا تتجاوز خمسة وعشرين سنة هي كل عمره في العلم تعلماً وتعليماً وتأليفاً .

وسمع النووي من شيوخ عصره وكان له شيوخ متعددون في كل علم اشتغل به وخصوصاً علمى الفقه والحديث فإنهما غاية الغايات من علمه وبهما كان إمام عصره يقول في معرض ذكر شيوخه في الفقه وتسلسلهم إلى إمام مذهبه الإمام الشافعي رضي الله عنه"فأما أنا فأخذت الفقه قراءة وتصحيحاً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً عن جماعات أولهم شيخي المتفق

---

[١] السخاوي : ترجمة النووي ، مرجع سابق ، ص ص ١١ – ١٢.

[٢] السخاوي : نفس المرجع السابق ، ص ٧.

[٣] السخاوى : ترجمة النووي ، مرجع سابق ، ص ٦.

على علمه وزهده ، وورعه وكثرة عبادته، أبو إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي ثم المقدسي رضي الله عنه وأرضاه ..." [١].

ويري النووي أنه لا يعتد بعلم عالم حتى تُعرف شيوخه لأن في الشيوخ نسب العلـــم والعلماء "وهذا أي ذكر الشيوخ وتسلسلهم من المطلوبات المهمات ، والنفائس الجليلات ، التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها ، وتصتبح به جهالتها فإن شيوخه في العلم آباء في الدين، وصلة بينه وبين رب العالمين ، وكيف لا يقبح جهله الأنساب والوسيلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم وبرهم وذكر مآثرهم والثناء عليهم وشكرهم"[٢].

واعتني الإمام النووي بالتصنيف حين تأهل له فصنف تصانيف كثيرة في علوم شـتى ومن أبرز تصانيفه التى لا تزال تحظى باهتمام كل مسلم كتاب " رياض الصالحين من كـــلام سيد المرسلين" ، "وشرح صحيح مسلم"، و"الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار" ، و"التبيـــان في آداب حملة القرآن" ، و "الأربعين النووية" وغير ذلك من المصنفات التى أثرى بها المكتبة الإسلامية.

يذكر تلميذه ابن العطار عن مصنفاته فيقول "وانتفع الناس بسائر البـــلاد بتصانيفـــه ؛ وأكبوا على تحصيل تواليفه ، حتى رأيت من كان مجتهداً في تحصيلها ، والانتفاع بها بعـــد موته .." [٣].

ولثقة الناس عامتهم وخاصتهم بالنووي وعلمه وورعه وأمانته وحسن تأليفه بـــادروا إلى اقتنائها ودراستها والعزو إليها حتى انتشرت في الآفاق وحرص عليها طلاب العلم.

واشتغل الإمام النووي بالتدريس فكان معلماً فذاً أحسن توجيه طلابه وذكرت بعـــض المصادر أنه "باشر تدريس الإقبالية (وهي مدرسة كبيرة للفقه الشافعى) نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك ناب في الفلكية والركنية (وهما مدرستان مشهورتان في عصره) وولـــى شـيخه دار الحديث الأشرفية وتعتبر أشهر دار في بلاد الشام العلم الحديث. قال التاج الســبكي موضحـاً مباشرة النووي التدريس بها "قال والدي : إنه ما دخلها أعلم ولا أحفظ من المـزى، ولا أروع

---

[١] النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ١ ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت، ص ١٨.

[٢] النووي : المرجع السابق ، ص ١٨.

[٣] ابن العطار : تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، الرياض ، دار الصميعي ، د.ت ، ص ٩.

من النووي وابن الصلاح ودرس النووي بدار الحديث الأشرفية وغيرها ولـم يتنـاول فلسـاً واحداً"[١].

واشتهر الإمام النووي بالورع كما أقر بذلك من عاصره فمن ورعه أنه تولي مشـيخة دار الحديث الأشرفية وفي البلد من هو أسن منه وأعلى سنداً فلم يأخذ من معلومها (راتبـها) شيئا إلي أن مات [٢].

وقد أثني العلماء والفقهاء والمحدثون والزاهدون والمتعبدون علي الإمام النووي لأنـه أخلص لله فيما قرأ وعلّم وألف وممن أثني عليه تلميذه ابن العطار فذكر "شـيخي وقدوتـي، الإمام ذو التصانيف المفيدة والمؤلفات الحميدة ... الصوان القوام . الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، صاحب الأخلاق الرضية ، العالم الرباني ، المتفق علي علمه وإمامته ، وورعـه وعبادته .. صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل ، فبعضها للتصنيف ، وبعضها للتعليم ، وبعضها للصلاة ، وبعضها للتلاوة والتدبر، وبعضها للأمر بالمعروف والنهي عـن المنكـر، وكان سالكا منهاج الصحابة رضي الله عنه ... "[٣].

وتوفي رحمه الله .. ليلة أربع وعشرين من رجب من سنة ست وسـبعين وسـتمائة (٦٧٦هـ) بنوي ودفن هناك بعد حياة حافلة بالعلم والمجاهدة .

ثانياً : **عصر النووي** :

عاش النووي في القرن السابع الهجري وقد كانت مصر والشام فـي هـذه الحقبـة التاريخية تقعان تحت سيطرة دولة المماليك الذين جعلوا عاصمتهم في مدينة القاهرة وفي كـلا القطرين عاني الحكم المملوكي من عدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات . وهذه صفة لم تمنـح أحداً من سلاطين المماليك فترة طويلة من الحكم . ومن النادر أن نجد منهم من مات مبينـة طبيعية بسبب كثرة الانقلابات والفتن والوصول إلى السلطة بالقوة العسكرية.

وقد كان مما حدث في مصر والشام في هذا العصر حدثان لهما في هذيـن البلديـن الشقيقين (مصر والشام) أكبر الحظر من الناحية السياسية والاجتماعية معاً وهمـا : ظـهور

---

[١] تاج الدين السبكى : طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٨، مرجع سابق ، ص ٣٩٧.

[٢] السيوطي : المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي ، مرجع سابق ، ص ٥٧.

[٣] ابن العطار : تحفة الطالبين ، مرجع سابق ، ص ٢ – ٩.

التتار بالمشرق واستيلاؤهم على بغداد وزحفهم إلي الشام ومصر، والثاني خـــروج الفرنـــج الصليبين إلي هذين الإقليميين أيضاً .

ويذكر ابن الأثير عن الحدث الأول فيقول في أحداث سنة ٦١٧هـــ : "لقد بُلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم ، منها ظهور هؤلاء التتر قبحـــهم الله ، أقبلوا علي المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها ، ومنـــها ، خـــروج الفرنج لعنهم الله من المغرب إلي الشام ، وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغـــر دميـــاط منـــها ، وأشرفت ديار مصر الشام وغيرها علي أن يملكوها ، لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم ..." [١].

وقد نجح المماليك بفضل تعاون المصريين والشاميين في التغلـــب علـــي الخطريـــن التتري والصليبي وحماية السواحل الشامية والمصرية ولازال التاريخ " يذكر لهم آيات البطولة التي أبدتها تلك الدماء الجديدة في الدفاع عن الوطن العربي ضد الأخطار الكبرى التي هددتـــه من جانب التتار حيناً ومن جانب الصليبين والغرب الأوربي أحياناً . ومازالت أسماء مواقـــع عين جالوت ومرج الصفر من ناحية، والمنصورة وفارسكور وأنطاكية وطرابلس وعكا مـــن ناحية أخرى ، مازالت هذه الأسماء حية في التاريخ تنطق بالبطولة والشجاعة والفداء" [٢].

وهكذا كان ذلك العصر مليئا بالأحداث السياسية وكان عدم الاستقرار في مصر والشام هو طابع ذلك العصر بسبب غارات الفرنج والتتار مجتمعين ومنفردين علي مصـــر والشـــام والمعارك التي قامت بين المسلمين وبينهم علي مدي الزمان حتى تخلص منهم الإسلام وبـــلاده إلي غير رجعه .

هذا مجمل للحياة السياسية في عصر النووي .

أما عن الأوضاع الاجتماعية فإن مجتمع الشام كان يغلب عليـــه اختـــلاط الأجنـــاس والطوائف بعضها ببعض فقد كانت توجد فيه الأقليات مثل الأكراد والتركمان، والأرمن ، هذا بالإضافة إلى وجود عصبيات عديدة مذهبية ودينية مثل بعض الطوائف الصوفية والدور وزو

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـــ٩، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨، ص ص ٣٢٩ ـــ ٣٣٠.

[٢] سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر الشام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ط٢، ١٩٧٦، ص ص ج،د من المقدمة .

الشبية الباطنية" [١]. وكانت هذه الطوائف تختلف عن بعضها في مقدار ما تتمتع به من حقوق أو تنهض به من واجبات . وقد لجأ المماليك إلى إشعال نار الفتنة الدينية بين هذه الطوائف ، وأرادوا التذكير بالفروق بين الناس في الدين ، حتى لا تنطوي نفوسهم على الوفاق والتعاون والمحبة [٢].

وكان من الطبيعي أن يكون المجتمع الذي يقوم علي هذا النحو طبقات يتلو بعضها بعضاً في المراتب الاجتماعية وفي السلطان والنفوذ وكانت الطبقة الأولي هي طبقة الأمراء وعلي رأسهم السلطان وكان لها نصيب الأسد من النفوذ والجاه إن لم يكن النصيب كله ومصدر ذلك سلطان الحكم وقوته .

وتمثل الطبقة الثانية طبقة العلماء والفقهاء وكانوا يمثلون همزة الوصل بين العامة والحكام ويروي المؤرخون ما كان في هذا العصر من نفوذ للشيخ عز الدين بن عبد السلام، ومحيى الدين النووي ، وغيرها على السلاطين أنفسهم ومن إليهم وعلي الشعب والأمة كلها. ويكفي هنا أن نشير إلي أحد مواقف الشيخ عز الدين بن عبد السلام مع سلاطين عصره وأمرائه وذلك حين أراد الملك المظفر الخروج لقتال التتار بالشام وجد قلة ما عنده من المال في خزانته وأنه محتاج إلى المساعدة بشيء من أموال الرعية لإقامة الجند وتجهيزهم للسفر فجمع القضاة والفقهاء والأعيان لاستشارتهم في هذا وطلب الموافقة على ما عزم عليه فسكت من كان في المجلس إلا الشيخ عز الدين الذى قال : "إذا طرق العدو وبلاد الإسلام وجب على الحاكم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادكم ، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء من السلاح والسروج الذهبية والفضية .. وأما أخذ الأموال من العامة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة ، فلا"[٣].

قال الشيخ هذه الكلمة المدوية غير ناظر لما يلقاه بسببها من اضطهاد وبلاء ولكن الملك المظفر قبلها منه وعمل بمشورته فكان النصر من الله القوى العزيز للمسلمين على التتار.

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر الشام ، المرجع السابق ، ص ص ٢١٣ – ٢٢٠.

[٢] محمد زغلول سلام : الآداب في العصر المملوكي ، جـ١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١، ص ١٩١.

[٣] ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، جـ٧، القاهرة ، دار الكتب المصرية، ١٩٣٠، ص ٧٢.

وبعد هذا، نشير إلى ما كان للشيخ يحيى الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) في عهد الملك الظاهر بيبرس من مواقف مشهورة خطيرة معه ومراسلات إليه فيها التوجيه الرشيد والنصح الصريح الشديد وفيها طلب أن يعدل مع الرعية وأن يرفع عنهم المكوس* الظالمة . وسيذكر الباحث بعضا منها عند عرضه لموقف من حكام عصره.

ويلاحظ أن بعض علماء الدين في عصر النووي كانوا يعيشون معيشة راضية بفضل ما كان يغدقه عليهم السلاطين والأمراء من وظائف ذات مرتبات طيبة رغبة منهم في استمالتهم إلى جانبهم وضماناً لرضاهم عنهم لآن إليهم قياد العامة في السخط والرضا .

وفي ذلك يذكر المؤرخ ابن كثير عن أحد قضاة هذا العصر البارزين وهو ابن بنت الأعز "وكان بيده سبعة عشر منصباً، منها القضاء والخطابة، ونظر الأحباس ومشيخة الشيوخ ونظر الخزانة وتداريس الكبار"(١).

وتجدر الإشارة إلى أن الفقر كان يغلب على العلماء غير من ارتبط منهم بالوظائف في القضاء والتدريس ـــ كما ذكر الباحث من قبل ـــ وكان كثير منهم بعيدين عن الوظائف لسبب أو لآخر وهؤلاء أحاطهم الله برعايته وملأت هيبتهم قلوب السلاطين والأمراء وعامة الأمة بما عرفوا للدين من حرمة وللعلم من كرامة حتى كان الواحد منهم تهون عليه نفسه ولا يعطى الدنية في دينه أو كرامته ولا يخشى في الله لومة لائم .

وكانت الطبقة الثالثة تجيء بعد هاتين الطبقتين السالفتين : الحكام وعلماء الدين وهذه الطبقة الثالثة تشمل العامة والشعب من تجار وزراع وصناع وهم الذين عليهم الكد والكدح ولم يكن الواحد منهم يصل إلى ثمرة عمله كله لما كان ينوبهم من مظالم ومكوس مختلفة.

وكان الشيخ النووي يعنى كل العناية بهذه الطبقة العاملة فهو عليها حان عاطف ولها موجه ومرشد وكثيراً ما عمل لرفع ما كان ينزل بهم من مظالم على اختلاف ضروبها كما كان كذلك معنيا بالطبقة الأولى الحاكمة فهو يبذل جهده فى إبعادهم عن الظلم وتوجيههم للخير فى الدنيا والدين، وسنذكر ما يؤكد ذلك بعد حين .

---

* المكوس : جمع مكس وهى ما كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الاقطاعات أو لموظى الدولة خارجاً عن الخراج الشرعى. أنظر: القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، جـ٣، القاهرة ، ١٩١٧، ص ص ٤٦٨-٤٧١.

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٣، مرجع سابق ، ص ٣٤١.

وكما كان المجتمع فى ذاك العصر كثير الأجناس والطبقات على نحو ما عرفنا كان كذلك كثير الأديان والعقائد كثير النحل والمذاهب وكان هذا كله من بواعث القلق الفتنة والاضطراب ومن العوامل التى يسرت للفرنج والتتار أن يعيشوا زمناً طويلاً فى البلاد .

كما انعكست طبيعة مجتمع النووى المتفرق أحياناً المتمزق مذهبياً والمتباعد فكرياً وعقائدياً على الحياة الخلقية . فقد شهد هذا المجتمع بعض مظاهر الانحلال والإلحاد التى دفعت الفقهاء إلى الاستنكار والملاحقة للخارجين على الدين فيذكر ابن كثير أنه فى سنة ٧٠١ "قتل الفتح أحمد ابن الثقفى بمصر بحكم القاضى زين الدين بن مخلوف المالكى ، وذلك لما ثبت عنده من حطة للشريعة واستهزائه بالآيات القرآنية ومعارضة المشتبهات منها بعضها ببعض ، ولأنه كان يحل المحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك لمن كان يجتمع لذلك من الفسقة من الترك وغيرهم" [١].

وأما عن الأوضاع الثقافية فى مجتمع النووى (القرن السابع) فقد شهد ذلك العصر حركة علمية ضخمة واسعة شاملة فبعد الكوارث التى حلت ببغداد على يد المغول وبالأندلسى على يد الصلبين توجهت أنظار العلماء إلى مصر والشام فكانت دمشق مركزاً كبيراً من مراكز الحياة الفكرية العلمية كما صارت مصر "محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء"[٢] وشعر العلماء بالعبء الكبير الملقى على عاتقهم بعد الخسارة الفادحة التى لحقت بالمكتبة الإسلامية فتسابقوا فى التأليف والتصنيف فى شتى العلوم وساعدهم على ذلك اهتمام سلاطين المماليك والأيوبين بإنشاء المؤسسات التعليمية من مكاتب ومدارس وخوانق ومعاهد للتعليم التى تلقى فيها الدروس فى مختلف التخصصات إظهار لشعور التقوى من ناحية ، وليتخذوا من المدرسة أداة تضمن بقاء الحكم فى أيديهم وتساعدهم على تدعيم مركزهم فى أعين الشعب من ناحية أخرى . إلا أن هذه المدارس قد غلب عليها الطابع المذهبى [٣].

وخير ما يعبر عن ازدهار الحياة العلمية فى هذا العصر هو عظم الثروة العلمية التى وصلتنا من ذلك العصر بالذات "وما زالت دور الكتب فى جميع أنحاء العالم مشحونة بآلاف

---

[١] ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط ١٤ ، ص ١٩ .

[٢] السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، جـ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨، ص٩٤.

[٣] محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٢ ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧١، ص ص ٧٥ – ٩٨ .

المخطوطات التى ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بمصر ، والتى تناولت معظم ألوان المعرفة . فإذا ما أضفنا إلى المخطوطات النسبة الضئيلة التى طبعت من تراث العصر المملوكى ، والكتب التى فقدت ولم تعد نعرف عنها سوى أسماءها وأسماء مؤلفيها ، أدركنا أن مصر ــ وكذا الشام ــ شهدت فى عصر المماليك نشاطاً علمياً فائقاً لم تشهد مثله فى أى عصر آخر ، من تاريخها الوسيط " (١).

وبالرغم من النهضة الثقافية التى شهدها هذا العصر إلا أن السمة العامة فى الدراسات العلمية كانت الجمود وانعدام الابتكار الذى عطل المواهب وشل حرية الفكر وأزرى بقيمة العقل وحط من كرامة الإنسان حتى رضى أن نعيش عالة على أفكار واجتهادات السابقين دونما مشاركة أو إعمال العقل فى استنباط فكر جديد تحت مظلة الدين ، ولكن بدلاً من ذلك كانت البدع والخرافات والخلافات المذهبية ورموز الصوفية وتحدياتهم بالكرامات وغير ذلك من الدعاوى التى لا تتصل بنسب ولا سبب بالإسلام (٢).

وكان التعصب المذهبى ظاهرة شائعة بين علماء هذا العصر وكانت الخلافات بين الفقهاء لا تنقطع وغلب عليهم التقليد لأئمة مذاهبهم فأدى ذلك إلى الإفراط فى التعصب والجمود الفكرى فصارت الدروس تلقى والمؤلفات تكتب نصرة للمذاهب المتبعة أو تفنيداً للمخالفة وصار الصواب يعرف بالعالم فيتعصب لهذا أو ذاك .

ولقد وجه هذا التعصب المذهبى مؤسسات التعلم التى انتشرت فى تلك الفترة فانقسمت إلى مدارس للشافعية ، وأخرى للحنيفية ، وأخرى للماكية ، وأخرى للحنابلة ، واستقلت الأربطة والزوايا وراح كل فريق يحدد للتربية تصوراً جزئياً لا يتعدى حدود الإطار المذهبى الذى حصر نفسه فيه (٣).

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠، ص ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢) عبد البديع الخولى : الفكر التربوى عند ابن تيمية ، مجلة دراسات تربوية ، المجلد السابع ، الجزء ٣٨ ، ١٩٩١ ، ص ٢١٧ .

(٣) ماجد عرسان الكيلانى : الفكر التربوى عند ابن تيمية ، المدينة المنورة ، دار التراث ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٤٢ .

ولم يكن التعصب للمذاهب مقصوراً على الفقهاء واتباعهم من عامة الناس ، بل تعداهم إلى المماليك أنفسهم ، فقد كان معظم المماليك على مذهب أهل السنة والجماعة . كما وجهوا جزءاً كبيراً من نشاطهم الدينى لخدمة المذهب السنى [١].

وتعززت المذهبية بسلطة الحكام ومراسيم الدولة . من ذلك ما فعله الظاهر بيبرس حين أصدر أمراً باتباع المذاهب السنية الأربعة وتحريم ما عداها . كما أمر بالأ تقبل شهادة أحد ولا يرشح لإحدى وظائف الخطابة أو الأمامة أو التدريس ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب [٢].

كما شهدت دمشق نزاعاً عقائدياً بين الحنابلة والأشاعرة وبقدر ما ولد هذا التعصب من تمزق فى المجتمع فإنه ولد فى الوقت نفسه نشاطاً علمياً واضحاً فى هذا المضمار تمثل فى الكتب الكثيرة التى وضعت فيه [٣].

وكانت مؤسسات التعليم التى غُصتّ بها مصر والشام فى هذه الفترة تدرس فيها علوم الشريعة ، والتفسير ، والحديث ، والفقه على المذاهب الأربعة ، والعلوم العربية كالنحو والصرف وغيرها ، فضلاً عن التاريخ والطبقات . أما علوم الفلسفة والطب والرياضيات وغيرها فكان نصيبها أقل من الدراسة كثيراً من العلوم الشرعية واللغوية [٤].

وإلى جانب التعصب المذهبى كان التصوف الذى اشتد نفوذ رجاله على العامة من الناس ، بل على بعض الفقهاء والسلاطين . ولعل هذا كان من عوامل ضعف الحركة العلمية، فإن العلم يعتمد على العقل والفكر ، على حين يعود التصوف – أن كان تصوفاً حقاً – إلى الذوق والوجدان . وزاد من قوة أمر التصوف ظهور كثير من رجاله فى ذلك العصر حتى صاروا من أقطابه المشاهير ، ويكفى أن نشير فى مصر وحدها إلى الشيخ أحمد البدوى (ت ٦٧٥هـ) والشيخ إبراهيم الدسوقى (ت ٦٧٦هـ) . وهذا فضلاً عن المتصوفة ومدعى

---

[١] أحمد فوزى الهيب : الحركة الشعرية زمن المماليك فى حلب الشهباء ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٦٠ .

[٢] سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عهد دولة المماليك البحرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٨٥ .

[٣] بشار عواد معروف : الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام ، القاهرة ن مطبعة عيسى الحلبى ، ط١ ، ١٩٧٦ ، ص ص ٧٦ – ٧٧ .

[٤] عبد البديع الخولى : الفكر التربو ى عند ابن تيمية ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٦ – ٢١٧ .

التصوف الذين كانوا منبثين فى جوانب العالم الإسلامى ، وكان لكل منهم نفوذ على المحيـــط الخاص به [١].

وتجدر الإشارة إلى أن سلاطين المماليك اعتنوا عناية فائقة بالمتصوفة حيث أنشـــأوا لهم الزوايا والخوانق ووقفوا الأوقاف عليها وكانوا يعتقدون أنهم بذلك يتقربون إلى الله زلفى.

ولا شك فى أن ازدياد تيار التصوف كأن له أثره الخطير فى الحيـــاتين الاجتماعيـــة والفكرية . ويرى بعض الباحثين بأن المتصوفة فى تلك الفترة قد صبغوا القيم والمثل العليـــا بصبغة الزهد والرغبة عن الدنيا ومتاعها ، والاتجاه نحو الآخرة والعمل لها . وترتب علـــى هذه الاتجاهات نشر روح الاستكانة والقناعة بالقليل والتذلل للحكام بين عامة الناس ، مما ترك أثرا سلبيا فى نفوس الكثيرين إلى أمد طويل [٢].

وكان المسلمون فى القرن السابع الهجرى فى مصر والشام يشعرون بسوء أحوالـــهم نظرا للأخطار التى تعرضوا لها من جانب الصلبيين والتتار من ناحيـــة فضـــلا عـــن تحكـم المماليك فيهم واستئثارهم بخبرات البلاد واستبدالهم بأهليها ، وكثرة الفتن واختـــلال الأمـــن ، فضلا عن تجدد المجاعات والأوبئة بين حين وآخر . لذلك صادفت دعوة الصوفية اســـتجابة قوية من المصريين ، فازدادت أعدادهم فى سرعة وأطلقوا على أنفسهم اسم "الفقراء" إمعانـــا فى لصق صفة الزهد بهم [٣].

ونستطيع أن نقول بصفة عامة أن هذا العصر من الناحية الثقافية كان زاخرا بـــالعلم والعلماء إلا انه لم يكن فيه من أصالة الفكر والتجديد والابتكار فى الآراء خط كبير يتناســـب ولو إلى حد ما مع كثرة العلوم اللهم إلا ما كان لدى قليل من العلماء .

هذه باختصار أحوال عصر النووى سياسيا واجتماعيا وثقافيا .

الإمام النووى وعلاقته بالسلطة :

أجمع المترجمون للإمام النووى على أنه كان عالما مجاهدا يقـــوم بفريضـــة الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر وليس له غرض خاص أو مصلحة شخصية وكان يواجه الملوك

---

[١] محمد يوسف موسى : أعلام العرب ، ابن تيمية ، القاهرة ، مكتبة مصر ، د.ت ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

[٢] سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ .

[٣] سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، مرجع سابق ، ص ٣٥٢ .

الظلمة بالإنكار عليهم ويكتب إليهم بشجاعة لا يخشى فى الحق لومة لائم وكان يملك البيـــان القوى والحجة الدامغة لتأييد دعواه ولا يكبر عنده أحد عن النصيحة حتى العلمـــاء والأمـــراء والجبابرة وله فى ذلك قصص تذهل الألباب (١).

ويؤكد ذلك ما ذكره تلميذه ابن العطار "وكــان ــ أى النــووى ــ مواجــهاً للملــوك والجبابرة بالإنكار ، لا يأخذه فى الله لومة لائم ، وكان إذا عجز عن المواجهة كتب الرسائل ، وتوصل إلى إبلاغها" (٢).

ومن أشهر مواقفه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوفه فـــى وجـــه الملـــك الظاهر بيبرس فقد روى أنه "لما خرج الملك الظاهر لقتال التتار بالشام طلب فتاوى العلمـــاء بأنه يجوز أخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو ، فكتب له فقهاء الشـــام بذلـــك ، وقتل خلقاً من العلماء كثيراً بسبب إفتائهم له بعدم الجواز ، فقال : هل بقى أحد ؟ فقالوا : نعـم بقى الشيخ محيى الدين النووى ، فطلبه فقال : أكتب خطك مع الفقهاء فامتنع وقال : لا ، فقال: ما سبب امتناعك ؟ فقال : أنا أعرف أنك كنت فى الرق للأمير بندقدار ، وليس لك مال ، ثـم من الله عليك وجعلك ملكاً ، وسمعت أن عندك ألف مملوك كلهم عنده حياصة مـــن ذهـــب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلى ، فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلاً عن الحياصات الذهب وبقيت الجوارى بثيابهم دون الحلى ، ولم يبق فـــى بيـــت المال شئ من نقداً أو متاع أو أرض أفتيتك بأخذ المال من الرعية ، وإنما يستعان على الجهاد وغيره بالافتقار إلى الله تعالى ، واتباع آثار نبيه صلى الله عليه وسلم . فغضب السلطان مـــن كلامه ، وقال : أخرج من بلدى ــ يعنى دمشق ــ فقال : السمع والطاعة ، وخرج إلى نوى ، فقيل للملك الظاهر ، ما سبب عدم قتلك له : فقال " كلما أردت قتله أرى على عاتقه ســـبعين يريدان افتراسى فامتنع من ذلك"(٣). أى أن خوفه منه كان بهذه المثابة وكثيراً ما صرح أنـــــه يخافه ، وإنما هذه هيبة من لا يخاف فى الله لومة لائم .

---

(١) عبد الغنى الدقر : أعلام المسلمين ، الإمام النووى ، دمشق ، دار القلم ، ط٤ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، ص ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) ابن العطار : تحفة الطالبين ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٣) السخاوى : ترجمة النووى ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

ولما رأى النووى أن المواجهة مع السلطان لم تجد نفعاً عمد إلى الكتابة إليه بأسلوب فيه ترغيب وترهيب أسلوب الناصح الذى يخشى عليه عاقبة أمره ويخشى ضياع حقوق الناس فيكون بذلك مسئولاً أمام الله إن قصر بذلك فكتب إليه ووقع معه بعض العلماء ممن لا يهابون – فى سبيل الله – أحداً إلا الله . وهناك ما قاله علاء الدين بن العطار تلميذه : "ومما كتبه لما احتيط على أملاك دمشق حرسها الله ، بعد إنكاره مواجهته للسلطان الظاهر وعدم إفادته وقبوله: "بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . قال الله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ " آل عمران ، وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان أعز الله أنصاره ، ونصيحة عامة المسلمين ، ومن نصيحة السلطان – وفقه الله لطاعته ، وتولاه بكرامته . أن ينهى إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام ، وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وإزالة الضرر عنهم ... وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على أملاكهم أنواع من الضرر ... فهى لا تحل عند أحد من علماء المسلمين ... وقد اشتهر من سيرة السلطان أنه يحب العمل بالشرع ، ويوصى نوابه به، فهو أولى من عمل به والمسئول إطلاق الناس من هذه الحوطة والإفراج عن جمعيهم ... ولو رأى أى السلطان ما يلحق الناس من الشدائد لاشتد حزنه عليهم ، وأطلقهم فى الحال ولم يؤخرهم ، فبالله أغث المسلمين يغثك الله ، وأرفق بهم برفق الله بك ، فهم ضعفه ، ومنهم الأيتام والأرامل والمساكين والصالحون ، وبهم تنصر وتغاث وترزق ، وهم سكان الشام المبارك جيران الأنبياء صلوات الله وسلامة عليهم ... فهذه نصيحتنا الواجبة علينا ونرجو من فضل الله تعالى أن يلهمه الله فيها القبول ، والسلام عليكم ورحمة الله ، الحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه [1].

هذا بعض ما ظفر به الباحث من رسائل للإمام النووى وكلها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبرز فى كتابته شجاعاً قوى الشكيمة لا يرهب العُتاه والجبارين ما دام مستمسكاً بحبل الله ويكفى أن نعلم أنه لا يمكن أن يسكت عن كل مخالفة شرعية مهما يكن مصدرها من أذى الناس إلى الملوك والرؤساء ومن العامة إلى الخاصة من غير كبر ولا عجب .

---

(١) ابن العطار : تحفة الطالبين ، مرجع سابق ، ص ص ١٦ ، ١٧ .

ومن الواعظين فى عصرنا من يرى المنكر فى صغار الناس ولا يراه فـــى كبـــارهم ويراه فى السوقة فيشتد بإنكار فإذا رأه فى الكبار من الملوك والأمراء ذوى الأمـــر والنـــهى خرس هذا إذا لم يختلق المبررات ويخترع الفتاوى .

وقد كان السلف رحمهم الله لا يتركون هذا الأمر وهو الأمر بالمعروف والنهى عـــن المنكر ولو نالهم بسببه الموت أو العذاب الشديد ومثل ذلك الأئمة وأتباعهم بل كان أكثر علماء كل العصور لا يضنون بالأمر بالمعروف ولا يسكتون عن النهى عن المنكر .

ويرى النووى أنه يجب على ولاة الأمور "الرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليــهم والنهى عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم ويؤكد علــى وجوب طاعة ولاة الأمور فى غير معصية وتحريم طاعتهم فى المعصية ويسوق من الشواهد ما يؤكد ذلك"[١].

ويقرر النووى أن جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثيــن والمتكلميــن يــرون أن الحاكم لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بـــل يجب وعظة وتخويفه للأحاديث الواردة فى ذلك وأنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجـــرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام وأنه يجب الإنكار عليهم فيمـــا يخـــالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك [٢].

يتبين مما سبق أن النووى يؤكد على أنه لا يجوز أن نثور على الإمام حتى لو كـــان فاسقاً إلا إذا ظهر منه كفر واضح ولا يجوز شرعاً أن يلجأ الإنسان إلـــى اســتخدام العنــف والثورة صيانة للجميع ومحافظة على الأفراد لأنه لو استخدم العنف وتصرف كل إنسان حسب هواه لعمت الفوضى وتعطلت المصالح واضطربت الحياة فكثير من الناس لا يجـــدى معـــهم العنف ولا يصلح من شأنهم بل قد يزيدهم مكابرة فتكون النتائج عكسية .

---

[١] النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، القاهرة ، دار الغد العربى ، ط٣ ، ١٩٩٢ ، ص ص ٣٢٥ – ٣٢٨ .

[٢] النووى : شرح صحيح مسلم ، القاهرة ، دار الحديث ، المجلد السادس ، ط٤ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، ص ص ٤٦٩ – ٤٨٥ .

تلك كانت علاقته بالحكام والسلاطين وهى علاقة مثلى فيما ينبغى أن تكون عليه صلة العلماء بالسلاطين هى تدل على قدر الرجل ومدى احترامه الشخصى كعالم فذ من علماء المسلمين .

ولقد كان سلوك بعض سلاطين المماليك وشططهم فى عصر النووى بحاجة إلى علماء أجلاء أقوياء شجعان لا يخافون فى الله لومة لائم من أمثال الشيخ النووى بل لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قررنا أن كثيراً من الحكام فى مختلف الأزمان وليس فى عهد المماليك وحدهم يحتاجون إلى هذا النوع من العلماء لكى يوقف شططهم ويكبح جماحهم ويرشدهم إلى سبيل العدل والإقساط مع رعاياهم :

ثالثاً : الأهداف التربوية :

لكل مجتمع أهدافه الخاصة به النابعة من ظروفه وإمكانياته وتشتق التربية أهدافها من المجتمع الذى تربى له وتتأثر أهداف التربية بروح العصر ومتطلباته وأهداف التربية فيما يرى البعض هى اتجاهات يبحث عنها المربون التوجيه هؤلاء الذين يقعون تحت رعايتهم [1].

والهدف التربوي عموماً هو ذلك التغير الذي يراد إحداثه في نفوس المتعلمين.

ويعتبر تحديد الأهداف التربوية من الأمور الهامة في عملية التربية ولما كان الإسلام بمفهومه الواسع هو الإطار الفلسفي الذى كان يوجه المجتمع فى العصر الذى عاش فيه النووى ويحكم طريقة حياته فقد تبنى المربون فى ذلك العصر فلسفة تربوية مستقلة من ذلك الإطار الشامل . وباستقراء محتوى فكر النووى يمكن أن تبرز أهداف التربية عنده والتى تتمثل فيما يلى :

١- تربية الإنسان العابد :

يقدم لنا القرآن الكريم الهدف الكلى للخلق والنشاط الذى يملأ حياة الإنسان كما يبدو ومن قوله تعالى : "وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ" الذاريات : ٥٦ . فالإنسان لم يخلق إلا للعبادة ونشاطاته التي يقرها الإسلام لا تخرج عن نطاق العبادة ومعنى ذلك تربوياً أن

---

[1] فكري حسن ريان : المناهج الدراسية ، القاهرة، عالم الكتب ، ١٩٧٢، ص ٢٧.

الهدف الكلى للتربية فى الإسلام هو تربية العابد العامل العالم المؤتمر بأوامر الله المنتهى عن نواهية المرتبط بمبادئ الإسلام فى كل سلوكياته [(١)].

ويرى النووى أن الهدف الأكبر للتربية يتمثل فى إخلاص العبودية لله تعالى ويؤكد ذلك حين يعقب على قوله تعالى : "وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ" الذاريات : ٥٦ . "وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة ، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له ، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة ، فإنها دار نفاذ لا محل إخلاد ، ومركب عبور لا منزل حبور ..." [(٢)].

ويعتبر هذا الهدف أهم أهداف التربية عند النووى وكافة الأهداف الأخرى وسيلة إليه ويتفق هذا مع الهدف الأساسى والرئيس للتربية الإسلامية وهو تحقيق العبودية لله تعالى .

٢- تعلم العلم من أجل العلم :

كانت جميع التوجيهات التربوية للمربين فى عصر النووى تدعو طلاب العلم إلى أن يدرسوا العلم لذاته شأنهم فى ذلك شأن سابقيهم من المربين المسلمين ولم تكن الوظائف ذات الاعتبار الأول فى نفوسهم .

ويرى النووى أن على طالب العلم أن يتعلم العلم لذاته ولا يكن هدفه من تحصيل العلم أية أغراض أخرى "أعلم أن ما ذكرناه من الفضل فى طلب العلم إنما هو فى طلبه مريداً وجه الله تعالى، لا لغرض من الدنيا ، ومن أراده لغرض دنيوى كمال أو رياسة أو منصب أو شهرة أو نحو ذلك فهو مذموم. قال تعالى : "وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ" البينة : ٥ [(٣)].

ويعتبر العلم لذات العلم هدفاً من الأهداف العامة للتربية الإسلامية فالعلم فى نظر الإسلام غاية نبيلة يجب أن يسعى الإنسان إلى تحقيقها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وقد استعرض النووى نصوصاً كثيرة من الثقافة الإسلامية تحض على طلب العلم وترفع من قدر العلم والعلماء والمتعلمين.

---

(١) عبد البديع الخولى وآخرون : التربية الإسلامية من الأصول والتطبيقات ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٩٥ ، ص ص ٧٠٦ .

(٢) النووى : رياض الطالبين ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٣) النووى : آداب العالم والمتعلم والمفتى والمستفتى وفضل طالب العلم ، القاهرة ، مكتبة الصحابة ، ط١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٩ .

٣- تهذيب الخلق (تربية النفس وتهذيبها التربية الأخلاقية)

تعتبر التربية الخلقية من أهم أهداف التربية فى أى عصر من عصور الدولة الإسلامية ويقصد بها تهذيب أخلاق الناشئة وحثهم على الفضائل والتخلى عن الرذائل .

ويعد تهذيب الخلق من أهداف التربية عند النووى لأن الأخلاق الفاضلة تزين الإنسان فى نفسه وتحسن علاقته مع ربه وبنى جنسه وبحث النووى على حسن الخلق ويورد من الشواهد ما يدعم كلامه "أعلم أن الخلق الحسن كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم . قال صلى الله علية وسلم : "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها بيسط الوجه وحسن الخلق" وعنه قال : "خيركم أحسنكم أخلاقاً . وقال جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى" خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ " الأعراف:١٩٩. قال فى تفسير ذلك ان تفقوا عمن ظلمك وتصل من قطعتك وتعطى من حرمك" وقيل فى تفسير قوله تعالى : "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " القلم – ٤ . قال : كان خلقه القرآن يأتمر بأوامره وينزجز بزواجره ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه صلى الله عليه وسلم [١].

٤- صلاح أمر الإنسان فى الدنيا والآخرة

غاية تكليف الإنسان عند النووى صلاح أمر الإنسان فى دنياه وآخراه أو ما يعبر عنه نفع الدنيا والآخرة وصلاح أمر الإنسان فى الدنيا يعنى استقامة أحواله فيها لتستقيم له أمور الآخرة . ومن أجل هذا يشير النووي إلي كيفية إصلاح شأن الإنسان في الدنيا وما يلتزم به من أجل تحقيق هذا الصلاح "حق علي المكلف أن يذهب ينقسم مذهب ــ طريق ــ الأخيار الصالحين، ويسلك مسلك أولي النهي والأبصار ، ويتأهب لما أشرت إليه ، ويهتم بما نبهت عليه ، وأصوب طريق له في ذلك ، وأرشد ما يسلكه من المسالك : التأدب بما صح عن نبينا سيد الأولين والآخرين ، وأكرم السابقين واللاحقين صلوات الله وسلامه عليه وعلي سائر النبيين . وقد قال الله تعالي "وتعاونوا علي البر والتقوى " المائدة : ٢ فرأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة ، مشتملاً علي ما يكون طريقا لصاحبه إلي الآخرة ، ومحصلاً لآدابه الظاهرة والباطنة ، جامعاً للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين :

---

[١] النووى : شرح الأربعين النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية ، القاهرة ، مطبعة الشمرلى ، د. ت ، ص ٤٩ .

من أحاديث الزهد ، ورياضات النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وطهارة القلـــوب وعلاجــها .. وغير ذلك من مقاصد العارفين"[١].

يتضح مما سبق أن إخلاص العبادة لله هو الهدف العام للتربية عند النـــووي الـــذي يمكن أن يتفرع عنه العديد من الأهداف الجزئية وهذا الهدف هو في الحقيقة علة لخلق التـــي من أجلها خلق الله الأنس والجن وهو الهدف النهائي للتربية الإسلامية .

ولا شك أن حاجة الإنسان للتعلم ملحة وخطيرة ويقوم التعلم بدور كبـــير فـــي حيـــاة الإنسان وفيما يلي نفصل ونبرز وجهة نظر النووي في هذا المجال.

رابعاً : العلم فى فكر النووي:

اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً كبيراً وأولاده العناية القصوى بالحث عليه والأمر بـــه بشكل متكرر ومباشر في القرآن الكريم والسنة النبوية ولمكانة العلم في الإسلام حث المسلمين علي طلبه الاستزادة منه خشية لله وقياما بأعباء الخلافة في الأرض كما جعله الإسلام فريضة علي كل مسلم ومسلمة إيذاناً بأن مجتمع المسلمين لابد أن يكون مجتمع العلماء والمتعلمين.

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توضح مكانة العلم والعلمـــاء في الإسلام من ذلك مثلا قوله تعالي "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجـــات" المجادلة : ١١. وقوله سبحانه : "إنما يخشى الله من عباده العلماء "فاطر: ٢٨ وقال صلـــي الله عليه وسلم "العلماء ورثة الأنبياء" وقال "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

وكان علماء الإسلام دائما حريصين علي الاقتداء بصاحب الرســـالة عليـــه الصـــلاة والسلام في الاستزادة من العلم ولهم فى طلب العلم والحرص عليه أو الاستزاده منه خـــبرات وخبرات تتفق في الكثير وتختلف في القليل.

ولا يكاد يخلو مصنف من مصنفات علماء المسلمين من الحديث عن العلم وفي القـــرن السابع نجد للإمام النووي إسهاماً نشيطاً في هذا المجال حيث حظيت قضية العلم * ـــ كـــإحدى قضايا التربية ـــ باهتمام كبير في كتاباته.

---

[١] النووي : رياض الصالحين ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠ – ٢١.

* حظيت قضية العلم وما يتعلق به باعتبارها من أهم القضايا التربوية باهتمام كبير من الإمام النووي حيث أفرد لها جزءاً خاص في مقدمة كتابه "المجموع" ومن ثم اعتمد الباحث بصفة رئيسية عليها في هذا الجانب عند النووي.

تحدث النووي عن فضل العلم وأهميته فذكر أنه "قد تكاثرت الآيات والأخبار والآثار وتواترت ، وتطابقت الدلائل الصريحة وتوافقت علي فصل العلم والحث علي تحصيله والاجتهاد في اقتباسه وتعلمه . وأنا أذكر طرفاً من ذلك تنبيهاً علي ما هنالك قال تعالي : "وقل رب زدني علماً " سورة طه : ١١٤. والآيات كثيرة معلومة . وروينا عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يراد الله به خبراً يفقهه في الدين" رواه البخاري ومسلم .. وفي الباب أحاديث كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية. وأما الآثار عن السلف فأكثر من أن تحصروا أشهر من أن تذكر . لكن نذكر منها مثلاً عن معاذ رضي الله عنه قال: "تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشيته ، وطلبه عبادة ، ومذكراته تسبيح ،والبحث عن جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة" وعن الفضل قال : "عالم عامل يعلمه يدعي يدعى كبيراً في ملكوت السموات" . وقال الشافعي : طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. وقال: من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم .. وقال أبو مسلم الخولاني : "مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا بدت للناس اهتدوا بها وإذا خفيت عليهم تحيروا"[1].

ويري النووي أن أعظم العبادة تعلم العلم الذي يعرف به الحلال من الحرام بإخلاص وأنه أفضل من الاشتغال بالعبادات ويدعم كلامه بالأدلة "إن الاشتغال بالعلم من أفضل القربة وأجل الطاعات ، وأهم أنواع الخير وأكد العبادات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات ، وشمر في إدراكه والتمكن به أصحاب الأنفس الزكيات ، وبادر إلى الاهتمام به لمسارعونه إلى الخبرات ، وسابق إلى التحلى به مستبقوا المكرمات"[2].

يتبين من النص السابق أن النووي يعتبر الاشتغال بالعلم عبادة مؤكدة ومما يتقرب به إلي الله وإن طلب العلم من أهم الأمور التي ينبغي أن يتفق فيها الفرد المسلم وقته وأن المشتغلين بالعلم من العلماء والطلاب هم أصحاب الأنفس الزكية والهمم العالية وهم أعلى الناس منزلة.

وقد نقل الإمام النووي عن جماعة من السلف ترجيحهم الاشتغال بالعلم علي نوافل العبادة ويقرر "والحاصل أنهم متفقون علي أنّ الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل

---

[1] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ١١ – ١٣.

[2] النووي : شرح صحيح مسلم ، جـ١ ، مرجع سابق ، ص ١٤.

الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن ، والدليل علي ذلك أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين ؛ والنوافل المذكورة مختصة به ، ولأن العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر إليه . ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك ، ولأن العلم تبقي فائدته وأثره بعد صاحبه والنوافل تنقطع بموت صاحبها .. [١].

وبين النووي أن الإسلام أولى العلماء وقدرهم ورفع مكانتهم وأوضح النهي الأكيد والوعيد الشديد لمن يؤذي أو ينتقص الفقهاء وحث علي إكرامهم وتعظيم حرماتهم "وقال تعالى" : "وأخفض جناحك للمؤمنين" الحجر : ٨٨. وقال تعالى: "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإنما منيا" الأحزاب : ٥٨. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من آذى فقيها فقد أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أذى رسول الله صلي الله عليه فقد أذى الله عز وجل . وقال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله : أعلم يا أخى وفقني الله وإياك لمرضاته أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منغصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب"[٢].

بتين تعظيم النووي لأهل العلم وحمايته للعلماء ومن أن تنالهم ألسنة السوء بالتجريح والغية .

تصنيف العلوم .

ويمكن تسميتها تقسيمات المناهج وهذا هو فكر النووي في هذا المجال : قسم العلوم تقسيما يتفق وروح المناهج الإسلامية التى تجعل ما يتعلق بالدين وعلومه في القمة وبالتالى يجعل في قمة العلوم والمناهج العلوم الدينية وهذا الاهتمام بالعلوم الدينية كان عاما بين جميع المفكرين في هذا العصر حيث كانت السيادة للعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية بالدرجة الأولى وذلك لارتباطها الوثيق بالدين من ناحية وبالدولة وحياة الناس من ناحية أخرى .

قسم الإمام النووي العلوم ويتناول الباحث هذا التقسيم بشيء من التفصيل على النحو التالى "[٣].

---

[١] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ص ١٥ – ١٧.

[٢] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٢١ – ٢٢.

[٣] النووي : آداب العالم والمتعلم، مرجع سابق، ص ص ٢٣ – ٢٦.

١- العلوم الشرعية : وتنقسم إلي ثلاثة أقسام :

أ- علوم فرض العين : وهي تلك العلوم التى يحتاج إليها لإقامة فرائض الدين كالوضوء والصلاة ونحوهما ويتعين على الأباء والأمهات تعليم أولادهم الصغار ما سيتعين عليهم بعد البلوغ ، فيعلمه الولى الصلاة والصوم والطهارة ، ويعرفه تحريم الزنا ، واللواط، والسرقة ، وشرب المسكر ، والكذب ، والغية ، ويعرفه أنه بالبلوغ يدخل في التكليف ويعرفه ما يبلغ به والدليل علي ذلك قوله تعالي : "يا أيها الذين أمنوا أنفسكم وأهليكم ناراً": التحريم ٦ قال على بن أبى طالب وغيره : علموهم ما ينجون به من النار وثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[1].

ومما يتعين تعلمه أيضا : "معرفة ما يجل ويحرم من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ، مما لا غني عنه غالباً . وكذلك أحكام عشرة النساء إن كان له زوجة ، وحقوق المماليك أن كان له مملوك . ونحو ذلك" [2].

وتحدث الإمام النووي عن علم قال بعض الفقهاء بأنه من علوم فروض العين ألا وهو "علم القلب" الذى يعنى بتطير النفوس وتنقية السراء وقد قال النووي في هذا العلم : "هو علم معرفة أمراض القلب كالجسد والعجب. قال الغزالى : "معرفة حدودها وأسبابها وطيها وعلاجها فرض عين . وقال غيره : إن رزق المكلف قلباً سليماً من هذه الأمراض كفاه ذلك ، ولا يلزمه تعلم دوائها"[3].

أما مجال العقائد فى نظر النووي فإنه لا يتعين على من حصل له هذا تعلم أدلة المتكلمين والصواب للعوام وجماهير الفقهاء الكف عن الخوض فى دقائق الكلام مخافه من احتلال بتطرق إلى عقائدهم يصعب عليهم إخراجه وقد صنف الغزالى فى آخر أيامه كتابه المشهور الذى سماه"الجام". العوام عن علم الكلام ، ولو تشكك في شيء من أصول العقائد وجب عليه تعليم أدلة المتكلمين لإزالة الشك"[4].

---

[1] النووي : آداب العالم والمتعلم، مرجع سابق، ص

[2] النووي : المرجع سابق، ص

[3] النووي : آداب العالم والمتعلم، مرجع سابق ، ص ص ٢٣ – ٢٤.

[4] النووي : نفس المرجع السابق.

ويعنى هذا أن علم الكلام ــ فى نظر النووي ــ لا تمثل دراسته فرض عين ويكفي اشتغال بعض المسلمين به للدفاع عن العقيدة وإقامة الحجة في وجه المجادلين.

ب ــ علوم فروض الكفاية : وهي العلوم التى إذا قام البعض بتعلمها سقط الإثم عنهم وعن سائر أفراد المجتمع أما إذا لم يقم جميع أفراد المجتمع بتعلمها فهنا يأثم كل مستطيع لتعلمها علم أن ذلك من فروض الكفاية ويوضح الإمام النووي هذه العلوم يقوله : "فرض الكفاية : وهو تحصيل ما لابد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية ، كحفظ القرآن والأحاديث وعلومه والأصول ، والفقه ، والنحو ، واللغة ، والتصريف ، ومعرفة رواة الحديث ، والإجماع، وأماما ليس علي شرعيا ، ويحتاج إليه في قوام أمر الدنيا، كالطب والحساب ففرض كفاية أيضا . نص عليه الغزالي . واختلفوا في تعلم الضائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة والفلاحة ونحوهما. فقال البعض ليست فرض كفاية ومنهم من قال بأنها نرض كفاية وهو القول الأظهر "الأصح"[١].

ومما يؤكد دخول هذه الحرف والضاعات في فرض الكفاية قول النووي "الحرف والصناعات وما به قوام المعايش ، كالبيع والشراء والخزانة ، وما لابد منه حتى الحجامة والكنس ، فالنفوس مجبولة علي القيام بها ، فلا تحتاج إلي حث عليها وترغيب فيها ، لكن لو امتنع الخلق منها ، أثموا وكانوا ساعين في إهلاك أنفسهم ، فهي إذن من فروض الكفاية" [٢].

ويعتبر دخول تعليم الصنائع التي لا غني عنها في الأمور المعيشية كالخياطة والفلاحة وما شابههما في فرض الكفاية أمراً بدهياً منطقياً فلا يمكن تصور مجتمع ليس فيه من يحيك الملابس أو يزرع الأرض ولا يأثم أهله بتركهم ما به قوام حياتهم ، و ما يؤدي إليه ذلك التقصير من جعل أفراد هذا المجتمع عالة علي غيرهم من أبناء المجتمعات الأخري في أمر غذائهم وملبسهم وما إلي ذلك.

جـ ــ علوم النفل: النوع الثالث من العلوم الشرعية بعد علوم فرض العين وفرض الكفاية هو ما أطلق عليه الإمام النووي اسم "علوم النفل" وذكر أن من أمثلة هذه العلوم : "التبحر في أصول الأدلة، والإمعان فيما وراء القدر الذي يحصل به فرض الكفاية . وكتعليم

---

(١) النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٢٦ – ٢٧ .

(٢) النووي : روضة الطالبين ، جـ٧، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود على محمد معوض ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢، ص ٤٢٤.

العامي نوافل العبارات لغرض العمل لا ما يقوم به العلماء من تمييز الفرض من النقل ، فإن ذلك فرض كفاية في حقهم والله أعلم" [١].

ويمكن القول بأن علوم النقل هي ما يحصله العامي أو القائم بفرض الكفاية من معارف تزيد عما هو مطلوب منه تحصيله وفي نفس المجال المشتغل به من مجالات العلم.

٢- العلوم غير الشرعية أو "العلوم الدنيوية" .

ذكر النووي أن من العلوم غير الشرعية ما هو محرم أو مكروه أو مباح ومثل لكل علي النحو التالي[٢].

أ) علوم محرمة وذكر منها تعلم السحر وكالفلسفة والتخييم .

ب) علوم مكروهة مثل أشعار المولدين التي فيها الغزل والبطالة – أي الهزل والمجون – لما قد تؤدي إليه من فساد النفوس .

ج) علوم مباحة كأشعار المولدين التي ليس فيها سخف ولا شيء مما يكره ولا ما ينشط إلي الشر ولا ما يثبط عن الخير ولا ما يحث علي الخير أو يستعان به عليه".

وبالنظر إلي العلوم المحرمة نجد أن الإمام النووي قد حرم الفلسفة على إطلاقها وشاركه في هذا الحكم كثير من الفقهاء في عصره الذين كانوا يرون في الفلسفة طريقاً إلى الكفر والتزندق وفساد العقيدة من وجهة نظرهم – وكانت الفلسفة من العلوم الغير مرغوب فيها وقتذاك.

ويتبين مما سبق أن النووي نظر إلي موضوع تقسيم العلوم نظرة فقيهة حيث ذكر أقساماً متعددة للعلوم وبين أن الحكم الشرعي للعلوم يختلف باختلاف هذه الأقسام وتأثر بالغزالي في هذا الصدد إلا أنه عرضها من منظوره الخاص .

ويتجلى في النص السابق السبب وراء اعتبار النووي علم الفقه أهم أنواع العلوم ويتمثل هذا في حاجة الناس إليه في جميع أحوالهم وعلي مدار أزمانهم لأنه هو الذى يوجه سلوكهم وفق منهج الله.

---

[١] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٢٧ – ٢٨.

[٢] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٨.

ويهتم النووي كثيراً بعلم الحديث وهو من العلوم التى برع فيها وكان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله كما ذكر ذلك بعض معاصر به ويرى النووي أن علم الحديث من العلوم الهامة " ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبوية أعنى معرفة متونها ، صحيحها وحسنها وضعفها ، متصلها ومرسلها ومنقطعها ، مشهورها وغريبها، متواترها وآحادها وأفرادها ، معروفها وشاذها ومنكرها ، وناسخها ، وخاصها وعامها، ومجملها ومبينها ومختلفها ، وغير ذلك من أنواعها المعروفة، ومعرفة علم الأسانيد أعنى معرفة حال رجالها وصفاتهم المعتبرة، وضبط أسمائهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك من الصفات ، ومعرفة الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وأتباع أتباعهم ومن بعدهم رضي الله عنهم وعن سائر المؤمنين والمؤمنات"[١].

هذه هي علوم الحديث التي لابد منها للمحدث المتقن وما عرضها النووي إلا وهو يتقنها إتقان كبار المحدثين في عصره ودليل ذلك مثبوت في مؤلفاته الفقهية والحديثية وفيما ألفه من علم مصطلح الحديث .

ومن العلوم الشرعية الهامة التي برع فيها واهتم بها النووي علم الفقه وقد أعلي من شأن الفقه إلى الدرجة التى جعله فيها من أهم أنواع العلوم علي الأخلاق ويتضح ذلك من قول الإمام النووي الذي يسوق الباحث نصه فيما يلي "وأهم أنواع العلوم في هذه الأزمان الفروع الفقيهات لافتقار جميع الناس إليها في جميع الحالات ، مع أنها تكاليف محضة فكانت من أهم المهمات، وقد أكثر العلماء أصحابنا من الشافعية وغيرهم من العلماء من التصنيف في الفروع من المبسوطات والمختصرات ، وأودعوا فيها من الأحكام والقواعد والأدلة وغيرها من النفائس الجليلات ما هو معلوم مشهور عند أهل العنايات"[٢].

وقد أخذ الفقه الشافعي عن كبار علماء عصره وأتقن الفقه وعرف قواعده وأصوله ويذكر تلميذه ىابن العطار في هذ الصدد وعن النووي "وكان حافظاً للمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين ، واختلاف العلماء ووفاقهم وجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه وما هجر ، سالكاً في كلها طريقة السلف"[٣].

---

[١] النووي : شرح صحيح مسلم ، جـ١، مرجع سابق ، ص ١٥.

[٢] النووي : روضة الطالبين ، جـ١، مرجع سابق ، ص ١١٢.

[٣] ابن العطار : تحفة الطالبين ، مرجع سابق ، ص ٩.

ويري النووي أن اللغة العربية ذات أهمية كبيرة في فهم الكتاب والسنة "... إن لغة العرب لما كانت بالمحل الأعلى والمقام الأسني وبها يعرف كتاب رب العالمين وسنة خير الأولين والآخرين اجتهد أولو البصائر والأنفس الزاكيات ، والهمم المهذبة العاليات الاعتناء بها وليمكن من اتقانها بحفظ أشعار العرب وخطبهم ونثرهم وغير ذلك من أمرهم ... ولا حاجة إلى الإطالة في الحث عليها ، فالعلماء مجمعون على الدعاء إليها، بل شرطوها في المفتى والإمام الأعظم والقاضى لصحة الولايات، واتفقوا على أن تعلمها من فروض الكفايات"[1].

وما من شك في أنه لا يقوي أحد على فهم الكتاب والسنة والتفقه فيها واستنباط الأحكام منها ويستوعب عبارات أئمة الدين من المتقدمين والمتأخرين حتى يتقن العربية نحوها وصرفها واشتقاقها ومعاني مفرداتها وهذا ما يراه النووي ويحث عليه .

يتبين مما سبق أن النووي يقرر أهمية العلوم الفقهية والدينية ويجعلها في قمة العلوم والمناهج بل وفي أوائل العلوم المطلوبة للإنسان لأنها تكون لديه التصور الأساسي عن الحيلة الإنسانية والمجتمع وهو لا يقصر العلوم علي أنواع من العلوم بينها بل يتسع تصوره ليشمل كافة العلوم وكلها تعمل علي تحقيق سعادة الإنسان وهذا يعني تربوياً ضرورة إحاطة المتعلم بكافة العلوم جميعاً ليست إحاطة كاملة بل من باب العلم بالشيء ولكنه استثني من المناهج علوم معينة كالفلسفة لأنه يري أنها تتعارض مع تعاليم الإسلام أو تؤدي إلى اهتزاز قيمة بين الدارسين من وجهة نظره.

بعض المبادئ والشروط الخاصة بالتعلم :

وضع النووي مجموعة من الشروط والمبادئ ودعا إلي مراعاتها في التربية حتى يسير التعلم في مساره الصحيح وهذه الشروط هي :

١- مراعاة الفروق الفردية :

أدرك المربون والمفكرون أهمية الفروق الفردية بين المتعلمين في استعداداتهم وقدراتهم العقلية لذلك أصروا علي وجوب مراعاة التربية والتعليم لها فالتلاميذ يختلفون فيما

---

[1] النووي : تهذيب الأسماء واللغات ، جـ ١ ، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية ، د.ت ، ص ص ٢ – ٣ .

بينهم في العديد من القدرات والصفات ويهم المعلم أ، يكون علي دراية بهذه الفروق ليعـــرف نواحي القوة والضعف فيهم ويعطى كل منهم على حسب قدراته واستعداداته .

ولقد وعى الفكر التربوي الإسلامي هذا ووعاه جيداً النووي ومن ثم نبه إلى مراعـــاة الفروق الفردية والاهتمام بميول المتعلمين ولا يُلق إليه (أى المتعلم) شيئا لم يتأهل له لئلا يفسد عليه حاله ، فلو سأله المتعلم عن ذلك لم يجبه ، ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأنه لـــم يمنعه ذلك شحاً بل شفقة ولطفا"[١].

إن مراعاة الفروق الفردية ذات أهمية كبيرة في العملية التعليمية وحتى تؤتي العمليـة التعليمية ثمارها لابد أن يراعي المعلم هذه الفروق من المتعلمين في القدرة علـــي التحصيـل والفهم.

٢- وضوح الهدف وإخلاص النية :

لاشك أن أول ما يرجى من طالب العلم وبخاصة العلم الشرعى "تصحيح النية وذلــك بأن يجاهد نفسه على الاخلاص والتجرد، ويتحرى بعلمه وجه الله تعالى والدار الآخـــرة، ولا يجعل همته ونيته مباهاة العلماء، أو مماراة السفهاء، أو جمع المال، أو غير ذلك مما يتطلـــع إليه الناس من متاع الحياة[٢].

يقرر النووي أن علي طالب العلم بداية أن يصحح قصده لأن فقدان الإخلاص يمنـــع قبول الأعمال "النية معيار لتصحيح الأعمال فحيث صلحت صلح العمل وحيث فســدت فســد العمل" [٣].

وموضوع إخلاص النية في طلب العلم يكاد يجمع عليه جميع المربين المسلمين فـــي جميع العصور ولا يكاد يخلو مؤلف مما كتبه المربون المسلمون إلا وأكد على إخلاص النيـــة وهذا تأكيد منهم علي أن طلب العلم عبادة لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى .

---

[١] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٣٥.

[٢] يوسف القرضاوى: الرسول والعلم، القاهرة، دار الصحوة، د. ت ، ص ص ٩٤-٩٥.

[٣] النووي : شرح الأربعين النووية ، مرجع سابق ، ص ٥.

وتعتبر النية جزء أساسي من فلسفة التعليم في التربية الإسلامية وربما انفردت التربية الإسلامية بهذا المبدأ إذ أن النية "لم تحتل مكاناً بارزاً في الفكر الغربي الحديث في علم النفس، وفي التعلم بصفة خاصة" [1].

والنووي في ذلك متجاوب تماماً مع النظرة الإسلامية الصحيحة والتي تطلب من الإنسان أن يقصد من كل أعماله رضا الله وحبه يقول تعالي "قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين" الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣.

ويري الباحث أن هذا مطلب ضروري للمتعلم لأن تحقيقه يعتبر بمثابة حافظ يدفع الطلاب إلي المزيد من التعلم والاستمرار فيه دون النظر إلي ما يحققه من وفوائد مادية.

٣- التدرج في طلب العلم :

وذلك بأن يترفق المعلم بالمتعلم فيما يدرسه لهم فيتدرج معهم من السهل إلي الصعب أو من البسيط إلي المعقد أو الانتقال من المحسوس إلي المعقول لأنه لا ينبغي إلقاء العلم إلي المتعلم دفعة واحدة وإنما علي التدريج وتقريب المادة العلمية من ذهن المتعلم شيئاً فشيئاً .

وقد تناول هذه الحقيقة غير واحد من المفكرين المسلمين وقد أدرك النووي أهمية التدرج في التعليم ونصح المتعلم بضرورة التدرج في طلب العلم وينبغي أن يؤدب المعلم المتعلم على التدريج بالآداب السنية ، والشيم المرضية ، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية ، وتعوده الصيانة في جميع أموره الكامنة والجليلة . فأول ذلك أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الصدق والإخلاص وحسن النيات ، ومراقبة الله في جميع اللحظات ، ويكون تعليمه (المعلم) إياهم (المتعلمين) كل ذلك تدريجاً شيئاً فشيئاً لتجتمع لهم مع طول الزمان جمل كثيرات ..."[2].

وعلي المعلم المسلم أن يراعي التدرج في العملية التعليمية حتى ينجح في عمله.

٤- الرفق بالمتعلمين :

يري النووي أن الرفق بالمتعلمين من أهم مبادئ التعليم ويسوق من الأدلة ما يدعم كلامه " ويستحب للمعلم أن يرفق بالطالب ويحسن إليه ما أمكنه فقد روي الترمذى قال كنا

---

[1] سيد عثمان : التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧، ص ٤٤.

[2] النووي : آداب العالم و المتعلم ، مرجع سابق ، ص ٣٤.

نأتى أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول مرحباً بوصية رسول الله صلي الله عله وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "إن الناس لكم تبع ، وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً"[1].

٥- العمل بمقتضى العلم :

ومن المبادئ التربوية الجديرة بالالتفات عند النووي الدعوة إلى اقتران العلم بالعمل فليس التعليم عنده هو مجرد حشو أذهان التلاميذ بفنون العلوم المختلفة أو الاكتفاء بهذا بل لابد من أن ينعكس علم الإنسان على عمله وبعبارة أخرى يرى النووي وجوب أن يعمل الإنسان بما تعلمه من علوم ذلك لأن من علم ولم يعمل لا ينفعه علمه وإذا لم يواكب العلم العمل فلا فائدة منه ويسوق من الأدلة ما يؤكد ذلك "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينتفع به" ... وروينا في مسند الدرامي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : يا حملة العلم أعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله" . وعن سفيان ما أزداد عبد علماً فازداد في الدنيا رغبة إلا أزداد من الله بعداً [2].

يهتم النووي بأن يتطابق العلم والعمل وأن يكون سلوك أهم أهل العلم تطبيقا لما يعلمونه وأن يظهر أثر العلم في عمل الإنسان، وهذا من أخلاقيات العلم الأصيلة فى التربية الإسلامية بلا قيمة لعلم بدون عمل.

٦- تحرى الحقيقة في البحث :

يرى النووي أن علي الباحث العلمي أن يتحرى الحقيقة في البحث وأن يتناول الحقيقة من أي أحد فهي ضالته يلتقطها أنى وجدها ويبدو هذا واضحاً فى قوله " ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في سن أو سبب أو شهرة أو دين ، أو في علم أخر ، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده ، وإن كان دونه في جميع هذا ولا يستحي من السؤال عما لا يعلم وقد كان السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم"[3].

---

(١) النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٢٨.

(٢) النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠ – ٢١ .

(٣) النووي : نفس المرجع السابق ، ص ص ٣١ – ٣٢.

يتبين أن على الباحث أن لا يأنف من تعلم الحقيقة ممن هو دونه مكانة أو أقل منه مرتبة وليس مما يعيب الباحث فما يري النووي أن يأخذ الحقيقة من أفراد يقفون منه موقف المتعلم.

هذه هي أهم المبادئ والشروط التي أمكن استخراجها من فكر النووي وقد استمدها من ثقافته الدينية وتجاربه التعليمية .

خامساً : آداب العالم والمتعلم

حرص الإمام النووي علي توضيح ما يجب أن يكون عليه المعلم من الصفات والمهارات وكذا ما ينبغي أن يتحلى به المتعلم من آداب حتى تتم العملية فى جو صحي يعرف كل منهما ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه الطرف الآخر وقد خصص النووي جزءاً خاصاً فى مقدمة كتابة "المجموع" لهذا الموضوع .

ويمكن تقسيم ما أورده النووي عن تلك الآداب إلي قسمين: قسم يعكس أوضاع المتعلم في زمانه وقسم لم يختلف كثيرا عما يقرره المربين المسلمين . أما تفاصيل هذه الآداب فهي :

آداب المعلم :

قسم النووي آداب المعلم إلي مجموعتين من الآداب الأولي تتعلق بآدابه في نفسه وتشمل آداباً معنوية وأخلاقية وأخرى جسدية أما المجموعة الثانية من آداب المعلم فهي تلك التي تتعلق بعملية التدريس ويعرض الباحث فيما يلي لهاتين المجموعتين من الآداب علي النحو التالي .

أولاً : آدابه في نفسه :

١- أن يكون معداً لمهنة التدريس :

أكد النووي خطورة هذه المهنة وأهميتها ولذلك شدد علي ضرورة ألا يوكل أمر هذه المهنة إلا لمن يتقنها وأعدلها إعداداً جيداً ويتضح ذلك من النص التالي الذي يقول فيه النووي "ومن تصدى للتدريس أو الوعظ وليس هو من أهله ، ولا يؤمن اغترار الناس به في تأويل أو تحريف ، أنكر عليه المحتسب ، وشهر أمره لئلا يغتر به" [(١)].

[(١)] النووي : روضة الطالبين، مرجع سابق ، جـ٧، ص ٤١٩.

ويفهم من سياق كلام النووي أنه ليس لمن لم يعد إعداداً كافيا أن يتصدى للتدريس ويرى أن علي ولي الأمر أن يمنعه من ذلك حتى لا يضلك الناس بجهلة وقلة علمه .

٢- أن يرجو بتعلمه وجه الله تعالي :

يرى النووي أنه ينبغي علي المعلم أن يبتغي بتعلمه وجه الله ولا يبتغي به غرضاً دنيوياً كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تكثر بالمشتغلين عليه أو المختلفين إليه أو نحو ذلك [١].

ويتضح بالنظر في النص السابق حرص النووي علي تأكيد أهمية أن تكون النية في التعلم خالصة لوجه الله وأن علي المعلم أن يذكر نفسه دائما أن التعليم يعد عبادة من أهم العبادات .

٣- أن يتخلق بالأخلاق الحميدة التي جاء بها الشرع :

يذكر النووي في هذا الشأن قوله " ومنها أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها وحث عليها والخلال الحميدة والشيم المرضية التي أرشد إليها من التزهد في الدنيا ، والتقلل منها ، والسخاء ، والجود، والحلم والصبر ، وملازمة الورع، والخشوع ..."[٢].

ولا شك في أن التزام المعلم بهذه الآداب يجعله مقبولاً من طلابه وقد شذ عدد من معلمي المدارس في عصرنا الحالي عن الالتزام بتلك الأخلاقيات التي ذكرها النووي في النص السابق وقد نقل "سعيد إسماعيل علي"[٣]. عن عدد من الصحف المصرية عدداً من الجرائم والسلوكيات المنحرفة التي قام بها عدد من المعلمين مما يعكس عدم تحلى هذه الفئة من المربين بما يجب أن يكون عليه المعلم من التزام أخلاقي يجعله في مقام القدوة الحسنة لتلاميذه .

٤- أن يحذر التكبر والرياء :

يري الإمام النووي أن علي المعلم أن "يحذر من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس وإن كانوا دونه بدرجات ، وهذه أدوار وأمراض يبتلى بها كثيرون أصحاب الأنفس

---

[١] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٢٩.

[٢] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ص ٢٩ –٣٠.

[٣] سعيد إسماعيل علي : دفتر أحوال التعليم ، القاهرة، عالم الكتب ، ١٩٩٩، ص ص ١٢٦ – ١٣١.

الخسيسات ... قال تعالي : "فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقي" النجم : ٣٢. فربما كان هذا الذي يراه دونه اتقي لله وأظهر قلبا وأخلص نية وأزكي عملا ... " [١].

ونجد في النص السابق دعوة النووي إلي التنفير من الرياء والكبر وذم لهما ودعوة إلي العلماء والمعلمين للابتعاد عنهما والوقاية منهما .

٥- أن يهتم بالتصنيف إذا تأهل له [٢].

ثانيا : آدابه في درسه :

١- أن يجتهد في الاشتغال بالعلم وألا يمنعه حياؤه وارتفاع منصبه من طلبه ويذكر النووي في هذا الشأن قوله :"فينبغي أن يظل مجتهدا في الاشتغال في بالعلم قراءة ومطالعة وتعليقا ومباحثة ومذاكرة وتصنيفا . ولا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في شيء أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر ... وينبغي ألا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه فقد كان كثيرون من السلف يستفيدون من تلامذتهم ما ليس عندهم"[٣].

٢- أن يتفرغ للتعلم والتعليم : نبه الإمام النووي إلي أمر هام وهو ضرورة تفرغ المعلم لمهنة التعليم وألا ينشغل عنها بشيء أخر وفيما يلي نص حديث النووي في هذا الشأن "وينبغي أن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبة ورأس ماله ، فلا يشتغل بغيره ، فإن أضطر إلي غيره في وقت فعل ذلك الغير يعد تحصيل وظيفته من العلم " [٤].

ويري الباحث أن هذا الذي نبه إليه النووي من الأهمية بمكان في مجال التعليم وضرورة دعم الدولة للمعلم ماديا حتى يتفرغ لمهنة التدريس .

٣- أن يرغب المتعلم في العلم والتعليم : يري النووي أن علي المعلم أن "يرغب المتعلم في العلم ، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء ، وأنهم ورثة الأنبياء ، ولا رتبة في الوجود أعلي من هذه " [٥].

---

[١] النووي : آداب العالم والمتعلم، مرجع سابق ، ص ٣٠.

[٢] النووي : نفس المرجع السابق، ص ٣٢.

[٣] النووي : آداب العالم والمتعلم، مرجع سابق ، ص ص ٣١ – ٣٢.

[٤] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٢.

[٥] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ص ٣٤ – ٣٥ .

٤- التقويم المستمر للطلاب واتباع مبدأ الثواب والعقاب : يري النووي أن علي المعلم أن " يحرضهم – الطلاب – علي الاشتغال* بالعلم في كل وقت ، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات ، فمن وجده حافظاً مراعياً له أكرمه ، وأثني له، وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه، ومن وجده مقصراً عنفه ألا أن يخاف تنفيره ، ويعيده له حتى يحفظه حفظاً راسخاً ، وينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم ، وإن كان صغيراً ، ولا يحسد أحد منهم لكثرة تحصيله ... فإنه بمنزلة الوالد وفضيلته يعود إلي معلمه منها نصيب وافر ... "(١).

يؤكد النووي في النص السابق علي أهمية التقويم المستمر للمتعلم حتى يستطيع المعلم الوقوف علي المستوى الحقيقي له كما أكد علي أهمية استمرار الثواب والعقاب في العملية التعليمية شريطة مراعاة القدر الملائم منهما حتى لا يؤدي الإفراط في الإثابة إلي إعجاب المعلم بنفسه أو يؤدي الإفراط في العقوبة إلي نفور المتعلم من المعلم والتعليم .

٥- أن يتفقد أحوال المتعلمين وأن يبذل الجهد في إفهامهم وأن يحرص علي تعليمهم مؤثراً ذلك علي حوائج نفسه ومصالحه ويظهر لهم البشر وطلاقة الوجه ولا يخاطب الفاضل منهم باسمه بل بكنيته ونحوها . ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها "كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكني أصحابه إكراما لهم وتسنيته لأمورهم " (٢).

٦- أن يهتم بطرح الأسئلة الاستراجعية بعد الانتهاء من عرضه للدرس وتشجيعهم علي الأسئلة والمناقشة لما لها من أثر في مدارسه العلم ومراجعته والنص التالي يوضح ذلك "وينبغي للمعلم أن يطرح علي أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل ، ويختبر بذلك أفهامهم، ويظهر فضل الفاضل ، ويثني عليه بذلك ، ترغيبا له وللباقين في الاشتغال والفكر في العلم ، وليتدربوا بذلك ويعتادوه ، ولا يعنف من غلط منهم في كل ذلك ، إلا أن يري تعنيفه مصلحة له " (٣).

---

* أشغال واشتغال : مصطلحات متداولة بين رجال العلم فى العصر المملوكى ، أولهما يدل على عملية تعلم العلم للغير، والآخر يدل على عملية التعلم الذاتى أو تلقى العلم على أيدى العلماء. انظر : على سالم النباهين: نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى ط١، ١٩٨١، ص٧٠

(١)النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٩.

(٢)النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٣٦.

(٣)النووي : نفس المرجع السابق ، ص ص ٤٢ – ٤٣ .

وهكذا يتبين من هذه العبارة السابقة قيمة هذه التوجيهات التربوية التي تعالج كثيرا مما يعاني منهم الطلبة في مختلف العصور .

ويرتبط بالفقرة السابقة مطالبة الطلبة في بعض الأوقات بإعادة ما حفظوه "وإذا فرغ من تعليمهم أو إلقاء درس عليهم أمرهم بإعادته ليرسخ حفظهم له ، فإذا أُشكل عليهم منه شيء ما عاودوا الشيخ (المعلم) في إيضاحه " [١].

وهذا التصرف من قبل الأستاذ ــ كما يذكر النووي ــ شبيه بالامتحانات الدورية في مدارسنا اليوم لمداومة الاطمئنان علي المستوي العلمي للمتعلمين فيكافئ المجتهد ويعان المقصر.

٧- ألا يفتي بدون علم : أكد النووي علي ضرورة ألا يفتي المعلم بدون علم وبين أن ذلك لا ينتقص من قدره "وإذا سئل عن شيء لا يعرفه أو عرض في الدرس ما لا يعرفه فليقل لا أعرفه أو لا أتحققه ، ولا يستنكف عن ذلك. فمن علم العالم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم أو الله أعلم . فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم ... وينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري ، وليعلم أن قوله لا أدري لا يضع منزلته ، بل هو دليل علي عظم محله وتقواه ، وكمال معرفته ، وإنما يمتنع من لا أدري من قل علمه ، وقصرت معرفته، وضعفت تقواه ، لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين..." [٢].

آداب المتعلم :

كما أن هناك مواصفات ينبغي أن يتحلى بها المعلم فإن هناك أيضا مواصفات ينبغي أن يتحلى بها المتعلم ويعرض الباحث لهذه الآداب الخاصة بالمتعلم كما أوردها النووي :

١- **تطهير القلب لاستقبال العلم** :

يري النووي أن علي المتعلم عند شروعه في طلب العلم أن ينقي قلبه من النفاق والرياء ويخلص النية لله في طلبه للعلم " وينبغي علي المتعلم ــ أن يطهر قلبه من الأدناس

---

[١] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٣.

[٢] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٤١ – ٤٢ .

ليصلح لقبول العلم وحفظه واستثماره ... فقد قالوا : تطييب القلب للعلم كتطييب الأراضي للزراعة"[١].

٢- **التواضع للعلم والعلماء :**

يري النووي أنه يجب علي طالب العلم أن يتواضع لمن يتعلم منه فبتواضعه يستطيع تحصيل العلم وإذا كان المعلم مأموراً بالتواضع لطلاب فإن الطلاب – من باب أولي – مأمورون بالتواضع لمعلمهم وفي هذا يذكر الإمام النووي "وينبغي له أن يتواضع للعلم والمعلم فبتواضعه يناله . وقد أمرنا بالتواضع مطلقا فهنا أولي . وينقاد لمعلمه ويشاوره في أموره ، ويأتمر بأمره ، كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح، وهذا أولي لتفاوت مرتبتهما " [٢].

٣- **أن يتلقى العلم علي أيدي المتخصصين الثقات :**

يري النووي أن علي المتعلم أن يختار معلمه بعناية فائقة وفقا لمواصفات معينة ويذكر في هذا الشأن قوله : "ولا يأخذ العلم إلا ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته وسيادته . فقد قال ابن سيرين وغيره من السلف : هذا العلم دين ، فانظروا عمن يأخذون دينكم ولا يكفي في أهلية التعليم أن يكون كثير التعلم ، بل ينبغي مع كثرة علمه بذلك الفن كونه له معرفة في الجملة بغيره من الفنون الشرعية ، فأنها مرتبطة ، ويكون له دربه ودين وخلق جميل وذهن صحيح وإطلاع تام"[٣].

٤- **الحرص علي التعلم :**

يري النووي أنه يجب علي طالب العلم أن يحرص علي التعلم في جميع الأوقات "ومن آداب المتعلم – المتأكدة – أن يكون حريصا علي التعلم ، مواظبا عليه في جميع أوقاته ليلا ونهاراً ، حضراً وسفراً ، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة لأكل ونوم قدراً لابد منه ونحوهما ، كاستراحة يسيرة لإزالة الملل وشبه ذلك من الضروريات، وفي صحيح مسلم عن يحيي ابن أبي كثير قال : لا يستطاع العلم براحة الجسم"[٤].

---

[١] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٤ .

[٢] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٥.

[٣] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ص ٤٥ – ٤٦ .

[٤] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٦.

٥- **الصبر علي جفوة المعلم :**

يؤكد الإمام النووي أنه يجب علي المتعلم أن "يصبر علي جفوة شيخه ، وسوء خلقه ، ولا يصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله ... وإذا جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار وأظهر أن الذنب له ، والعتب عليه ، فذلك أنفع له ديناً ودنيا، وأبقي لقلب شيخه ، وقد قالوا : من لمن يصبر علي ذل المتعلم بقي عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل أمره إلي عز الآخرة والدنيا، ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوباً"[1].

تلك هي بعض الآداب التي ينبغي علي طالب العلم أن يتحلى بها كما أوردها الإمام النووي وما أحرى طلاب العلم في عصرنا الحالي أن يأخذوا بهذه الآداب .

ويتبين لنا مما سبق بعض الجوانب الهامة فيما يتصل برأي النووي في علاقة العلم والمتعلم وأخلاقياتهما وواجباتهما واهتمامه قوي بتوضيح هذه العلاقة وتحديد الآداب التي تقوي هذه العلاقة بحيث توفر جواً طيباً تتم فيه العملية التعليمية.

٦- **التأليف العلمى وضوابطه في نظر الإمام النووي :**

ذكر الإمام النووي في مقدمة كتابه "المجموع" أن من آداب المعلم عنايته بالتصنيف أي التأليف ثم استفاض في شرح شروط التأليف العلمي الجيد التي ينبغي علي المؤلف مراعاتها وشعر الباحث بأهمية هذه الجزئية لدي النووي فأفرد لها عنواناً خاصاً بها يتيح تناولها بتفصيل أكبر عنما لو عرضها في ثنايا الحديث عن آداب المعلم .

ويعرض الباحث فيما يلي لشروط التأليف العلمي الجيد التي ينبغي علي العالم مراعاتها عند شروعه في التأليف والتي أوردها الإمام النووي علي النحو التالي :

١- **أن يصل إلي درجة من العلم تؤهله للتأليف :**

ينبه الإمام النووي إلي أن التأليف ليس من الأمور الهينة ولكنه شأن عظيم يحتاج إلي معرفة كاملة بالمجال العلمي الذي يشرع في التأليف فيه ومن ثم لا ينبغي للعالم أن يشرع في

---

[1] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٥٠.

ذلك إلا إذا تأكد من تمام تأهله . وقد قال النووي في ذلك : "وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له ، فإن ذلك يضره في دينه وعلمه وعرضه "[١].

٢- **كثرة مراجعة المؤلف قبل نشره :**

يقرر النووي أن علي المؤلف أن يراجع تصنيفه بحيث لا يخرج من يده قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه لأن في المراجعة ضمانا لسلامة الكتاب وعن طريقها يمكن اكتشاف الأخطاء وبتكرارها تتأكد سلامة الكتاب وصلاحيته لأن يتداوله الناس وقد قال النووي في ذلك الشأن "وليحذر من إخراج تصنيفه من يده إلا بعد تهذيبه وتزداد نظره فيه وتكريره"[٢].

٣- **مراعاة التوسط بين الإيضاح والإيجاز :**

دعا الإمام النووي العلماء إلي اتباع منهج وسط بين الإيضاح والإيجاز عند تحرير مؤلفاتهم فقال : "وليحرص علي إيضاح العبارة ، وإيجازها فلا يوضح إيضاحا ينتهي إلي الركاكة ، ولا يوجز إيجازا يفضي إلي المحق* والاستغلاق " [٣].

يتبين أن الإسهاب والإطناب في التأليف يؤديا إلي الركاكة وشدة الإيجاز تؤدي إلي قلة النفع وصعوبة الفهم والأفضل التوسط في ذلك .

٤- أن يكون المؤلف جديدا غير مسبوق كلما أمكن :

قال الإمام النووي في هذا الشأن : "وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر ، والمرد بهذا ألا يكون هناك مصنف يغنى عن مصنفه في جميع أساليبه ، فإن أغني عن بعضها فليصنف من جنسه من يزيد زيادات يحتفل بها مع ضم ما فاته من الأساليب"[٤].

ويتبين من الفقرة السابقة للنووي أنه يدعو المؤلفين إلي ادخار جهدهم للمجالات التي لازالت في حاجة إلي بحث وتصنيف وألا يضيعوا أوقاتهم فيما تم بحثه والتأليف فيه وبين أن قيمة المؤلف تكمن في مقدار الإضافة التي تحققها في مجاله .

---

[١] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٣٣.

[٢] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣.

* المحق والاستغلاق أي نقصان النفع وذهاب البركة وصعوبة فهم الشيء.

[٣] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٣٣.

[٤] النووي : آداب العالم والمتعلم ، مرجع سابق ، ص ٣٣.

٥- **أن يلبي حاجات أكبر عدد ممكن من المهمتين لمجاله :**

وفي هذا يذكر النووي قوله :"وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ، ويكثر الاحتياج إليه" [١].

ويوضح النووي أهمية التأليف للعالم أو المعلم بقوله : "فبه ــ أي التأليف ــ يطلع علي حقائق العلم ووظائفه ، ويثبت معه ، لأنه يضطره إلي كثرة التفتيش والمطالعة والتحقق والمراجعة والإطلاع علي مختلف كلام الأئمة ومتفقه وواضحة من مشكلة ، وصحيحة من ضعيفه ، وجزله من ركيكة، وما لا اعتراض عليه من غيره ، وبه يتصف المحقق بصفة المجتهد"[٢].

ويتبين مما سبق أن الإمام النووي يضع مجموعة من الضوابط والمحكات للتأليف العلمي الجيد وينبغي علي المقدمين علي التصنيف من العلماء أن يراعوها ويلتزموا بها .

٦- **آداب أو أخلاقيات حملة القرآن في نظر النووي :**

لقد تناول الإمام النووي في فكرة التربوي القواعد المهنية التي يجب أن تحكم عملية تعليم القرآن الكريم وأسسها التربوية بما يكفل لأبناء المسلمين حفظا جيدا للقرآن الكريم ووضع عددا من القواعد والضوابط أو الآداب التي يجب أن يلتزم بها حملة القرآن من خلال كتابة "التبيان في آداب حملة القرآن" وسيعرض لها الباحث فيما يلي :

١- إكرام أهل القرآن والنهي عن إيذائهم ، فقد قال تعالى "والذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و إثما مبينا" في الأحزاب ٥٨. ولا شك أن حامل القرآن كما هو المفروض عندما يعيه ويتدبره ويعمل به وهو في مقدمة المؤمنين والمؤمنات ممن ينطبق عليهم هذا الحكم . وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إن من إجلال الله تعالي :إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط[٣].

---

[١] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣.

[٢] النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣.

[٣] النووي : التبيان في آداب القرآن ، مرجع سابق ، ص ص ٢٩- ٣٠.

٢- ابتغاء مرضاة الله . فأول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصده بذلك رضا الله تعالي . قال تعالي :" وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة" البينة : ٥ وعن الأستاذ أبى القاسم القشيري قال : الإخلاص : إفراد الحق في الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلي الله دون شيء آخر من تصنع لمخلوق ، أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو معني من المعاني سوي التقرب إلي الله تعالي [(١)].

٣- علي معلم القرآن أن يطهر ظاهره ويهتم بنظافته "فعليه أن يزيل الأوساخ والشعور التي ورد الشرع بإزالتها كقص الشارب وتقليم الأظافر وتسريح اللحية وإزالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة"[(٢)]. وبذلك يحرص النووي علي توفير الصحة النفسية للمعلم من ناحية وعلي توفير القدوة أمام التلاميذ في سلوك النظافة من ناحية ثانية .

٤- أن يتخلق معلم القرآن بأخلاق القرآن "ومن آداب حامل القرآن : أن يكون علي أكمل الأحوال والشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهي القرآن عنه إجلالا للقرآن ، وأن يكون شريف النفس ، مترفعا على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعا للصالحين وأهل الخير ، وأن يكون متخشعا ذا سكينة ووقار"[(٣)].

٥- ينبغي على معلم القرآن الكريم أن يبتعد عن التكسب بالقرآن الكريم " أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها ، فقد جاء عن عبد الرحمن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا القرآن ، ولا تأكلوا به، ولا تجفوا عنه ، ولا تغلو فيه"[(٤)].

كانت هذه بعض الآداب التي يجدر بمعلم القرآن أن يتأدب بها من وجهة نظر النووي ومن الواضح أنها أخلاقيات مهمة سواء من الوجهة الخلقية والدينية أو من الوجهة التربوية وهي تنم عن حس النووي التربوي ومدى إدراكه وتفهمه لمواصفات معلم القرآن في حدود عصره الذى كان يعيش فيه وهذا سبق تربوي جيد.

وتجدر الإشارة إلى أن معلم الكتاب في عصر النووي كان يماثل معلم المدرسة الابتدائية في عصرنا من حيث أنه يعلم الأطفال العلوم الأساسية ويشرف على تربيتهم وتوجيههم وتأهيلهم إلى المرحلة الأعلى.

---

(١)النووي : التبيان فى آداب حملة القرآن ، مرجع سابق ، ص ص ٣٥ – ٣٦ .

(٢)النووي : نفس المرجع السابق ، ص ٤٧.

(٣)النووي : التبيان في آداب القرآن ، مرجع سابق ، ص ٧٧ .

(٤)النووي : نفس المرجع السابق ، ص ص ٧٩ – ٨٠ .

خاتمة

وبعد العرض السابق لبعض جوانب التربية لدى الإمام النووي الفقيه والمحدث يعرض الباحث لبعض النتائج الهامة التى توصل إليها في هذا البحث ومن أهمها :

١- أوضحت الدراسة أن الإمام النووي في كتاباته التربوية إنما كان ينطلق من التزام راسخ بما جاء في القرآن والسنة باعتبارهما المصدر الأساسي والموجه الصحيح لأي نشاط تربوى وكانت أسانيده فيما يقدم من آراء تتصل بالتربية غالبا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض الأقوال المأثورة عن السلف .

٢- أظهرت الدراسة أن الإمام النووي اهتم اهتماما بالغا بقضايا العلم والتعليم وكان من مظاهر هذا الاهتمام أنه أعلي من قيمة العلم والعلماء مؤكدا علي فضل العلم والاشتغال به ورأى بأن طلبه عبادة تفوق منزلته منزلة النوافل من العبادات .

٣- اجتهد النووي في تقسيم العلوم وذلك بغية معرفة أهمها وأكثرها نفعا لتوجيه الناس لدراستها والابتعاد عن العلوم غير النافعة ولم يفرق بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية ويعكس تصنيف العلوم عنده أوضاع عصره الدنية والاجتماعية حيث كانت السيادة للعلوم الدينية في مؤسسات التعليم لارتباطها بالدين من ناحية وبالدولة وبالمجتمع من ناحية أخرى وكانت العناية بهذه العلوم هي السمة البارزة لهذا العصر.

٤- مارس النووي التعليم وفهم جوانب العملية التعليمية وتأثرنا بالأوضاع المحيطة به وبالمرويات المتصلة بالتربية والتعليم ويبدو هذا واضحا في حديثه عن المعلم والمتعلم وأخلاقيات كل منهما والدور الذي يقوم به كل منهما لإثراء العملية التعليمية .

٥- وضع النووي بعض المبادئ والشروط الخاصة بالتعليم لكي يسير التعلم في مساره الصحيح ولكي تنجح العملية التعليمية وتؤتي ثمارها منها التأكيد علي أهمية الفروق الفردية بين المتعلمين ، والتدرج في طلب العلم ، والعمل بمقتضاه ، وقد أكد علي ذلك كثير من العلماء والفقهاء من المربين المسلمين مثل الغزالي وغيره .

٦- أظهرت الدراسة اهتماما بالغا من قبل الإمام النووي بآداب كل من المعلم والمتعلم حيث توسع فيها في مقدمة كتابه الفقهي الشهير "المجموع" وما أحوج طلاب مدارسنا وجامعاتنا اليوم إلي التخلي بهذه الآداب .

٧- اهتم الإمام النووي بقضية التأليف العلمي ووضع لها من الضوابط ما يضمن تحقيق الهدف المنشود منه .

٨- أوضحت الدراسة اهتمام النووي بأخلاقيات حملة القرآن الكريم الذين يقومون بتحفيظ أبناء المسلمين كتاب الله وذكر في هذا الصدد بعض الآداب التي ينبغي علي حملة القرآن الكريم أن يلتزموا بها ولا تزال هذه التوجيهات أحوج ما يكون إليها محفظوا القرآن في مؤسساتنا التعليمية ولاسيما المؤسسات الدينية .

٩- لم يهتم النووي في حدود علم الباحث بتربية المرأة .

١٠- يري الباحث أن كثيرا من الأفكار التربوية التي تضمنتها كتابات الإمام النووي لها أهمتها وقيمتها في حدود عصره ومنها يتضح أنه كان علي درجة عالية من الوعي بحقائق العملية التربوية وجوانبها المختلفة كما أنه سبق غيره من مفكري التربية العربية الذين جاءوا بمثل هذه الأفكار في عصور لاحقة .

١١- يؤكد الباحث علي أن أسلافنا العظام كانت لهم اجتهادات محمودة في مجال التربية لا ينبغي أن نغفلها حين نؤرخ لحركة البحث التربوي ولعل هذا البحث وغيره من بحوث يثير في نفوسنا الحاجة إلي إماطة اللثام عن معالم التربية الإسلامية عند المربين المسلمين برؤية عصرية متفتحة والله الموفق والمستعان .

الهوامش

١- أحمد فوزي الهيب : الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء ، بيروت مؤسسة الرسالة.

٢- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٧٨.

٣- ابن العطار : تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محى الدين ، تحقيق أبو عبيدة مشهور ، بن حسن آل سليمان الرياض ، دار الصميعي ، د.ت .

٤- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠.

٥- ابن كثير : البداية والنهاية ، لبنان ، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٦٦.

٦- السخاوي : ترجمة النووي ، القاهرة ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، ط١ ، ١٩٣٥م.

٧- السيوطي : المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي ، دمشق ، دار الأنوار ، ط١ ، ١٩٩٢.

٨- ـــــــ : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، جـ٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨.

٩- القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، جـ٣، القاهرة، ١٩١٧.

١٠- النووي : آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستغني وفصل طالب العلم ، القاهرة ، مكتبة الصحابة ، ط١، ١٩٨٧م.

١١- ـــــــ: التبيان في آداب حملة القرآن ، القاهرة ، دار السلام ، ط١، ٢٠٠٢.

١٢- ـــــــ: روضة الطالبين ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، على محمد معوض ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢.

١٣- ـــــــ: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، القاهرة ، دار الغد العربي ، ط٣، ١٩٩٢.

١٤- ـــــــ: شرح الأربعين النووية ، القاهرة ، مطبعة الشمرلي ، د.ت .

١٥- ـــــــ: شرح صحيح مسلم ، القاهرة ، دار الحديث ، ط٤، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦- النووي : وتهذيب الأسماء واللغات ، جـ١، القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت.

١٧- بشار عواد معروف : الذهبي منهجه في كتابه تاريخ الإسلام ، ١٩٨٦ ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط١، ١٩٧٦.

١٨- تاج الدين الشبكي : طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ،ومحمود الطناحي ، القاهرة ، دار هجر ، ط٢، ١٩٩٢م.

١٩- سعيد إسماعيل علي : دراسات في فلسفة التربية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨١.

٢٠- ـــــــــــ: دفتر أحوال التعليم ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٩.

٢١- سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية، ١٩٧٠.

٢٢- ـــــــــــ: العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، ط٢، ١٩٧٦.

٢٣- ـــــــــــ: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢.

٢٤- ـــــــــــ : مصر في عهد دولة المماليك البحرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩.

٢٥- سيد عثمان : التعلم عند برهان الدين الزرنوجي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٧.

٢٦- عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماضي وحاضر، القاهرة ، والمعارف ، ١٩٧٠.

٢٧- عبد البديع الخولي : الفكر التربوي عند ابن تيمية ، مجلة دراسات تربوية ، المجلد السابع، الجزء ٣٨، ١٩٩١.

٢٨- ـــــــــــ: الفكر التربوي والمؤسسات التربوية بمصر في دولة المماليك البرجية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨١.

٢٩- عبد البديع الخولي وآخرون : التربية الإسلامية من الأصول والتطبيقات ، كلية التربية، جامعة الأزهر ، ١٩٩٥.

٣٠- عبد الغني الدقر : إعلام المسلمين ، الإمام النووي ، دمشق ، دار القلم ، ط٤، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م.

٣١- عبد الغني عبود : في التربية الإسلامية ، القاهرة، دار الفكر الغربي ، ١٩٧٧.

٣٢- على سالم النباهين : نظام التربية الإسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى ، ط١، ١٩٨١.

٣٣- فكري حسن ريان : المناهج الدراسية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٢.

٣٤- ماجد عرسان الكيلاني : الفكر التربوي عند ابن تيمية ، المدينة المنورة ، دار التراث، ط٢، ١٩٨٦.

٣٥- محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكى ، جـ١ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١.

٣٦- محمد كرد على : خطط الشام ، جـ٢، بيروت ، ط٢، ١٩٧١.

٣٧- محمد يوسف موسي : إعلام العرب ، ابن تيمية ، القاهرة ، مكتبة مصر ، د.ت .

٣٨- نادية جمال الدين : فلسفة التربية عند إخوان الصفا ، القاهرة ، منشورات المركز العربي للصحافة ، ١٩٨٣.

٣٩- ياقوت الحمدي : معجم البلدان ، جـ٥، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

٤٠- يوسف القرضاوى: الرسول والعلم ، القاهرة، دار الصحوة، د.ت .